

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي - تبسة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



الآخر اليهودي والإسلاموفوبيا في

روايتي: (في قلبي أنثى عبرية، و غربة الياسمين)

ل: خولة حمدي

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف الأستاذة:

د: آمال كبير

إعداد الطالبتين:

• شيماء رقية

• ربيعة أيمن

أعضاء لجنة المناقشة:

الصفة	الرتبة العلمية	الإسم واللقب
رئيسا	أستاذ محاضر. أ	بوجمعة بوحفص
مشرفا ومقرا	أستاذ محاضر. أ	آمال كبير
ممتحنا	أستاذ محاضر. أ	هاشمي قاسمية

السنة الجامعية: 2021 / 2020

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}

[سورة التوبة: 105].

شكر و عرفان

نشكر الله عز وجل أولاً وأخيراً على ما أنعمه علينا، من لا يشكر الله لا يشكر الناس .
لذلك فإننا نتقدم بأسمى آيات العرفان وأخلص، وأعلى عبارات الامتنان إلى أستاذتنا
المشرفة الدكتور "آمال كبير" على ما قدمته لنا من توجيهات ونصائح لنمضي قدماً في هذا
البحث، ونخرج من الظلم إلى النور .
للنجاح أناس يقدرون معناه وللإبداع أناس يحصدونه، لذا تقدر جهودك المضيئة، فأنت أهل للشكر والتقدير
فوجب علينا تقديرك، فلك منا كل الثناء والتقدير يا أستاذنا المحترم "بوحفص بوجمة" .
وكذلك نتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان لأستاذنا القدير "هاشمي قاسمية" .
فمهما قدمنا من عبارات الشكر والعرفان لانستطيع أن نوفيكم حقكم .
أجمل كلمات الشكر لأعز الأشخاص على قلوبنا لمساعدتهم لنا ووقوفهم بجانبنا طوال السنوات الماضية
وتمنى وجودهم بقرننا طوال السنوات القادمة .

الإهداء:

هاهي الأيام مضت من العمر، بدأتها بخطوة، واليوم أقطف ثمرة مسيرة سنين كان هدفي فيها واضحاً
أسعى في كل خطوة للوصول إلى حلمي مهما كانت الصعاب، واليوم وصلت إلى مكان كان بالأمر
مجرد وهم وبلاي شعلة منيرة وسأحرص على أن لا تنطفئ، وأظل شاكرة لله عز وجل على توفيقتي
والوقوف معي وعدم التخلي عني وأنا في أشد الحاجة إليه.

وفي الأخير أهدي عملي هذا إلى من سقاني من ماء الحياة إلى من حفر من الصخر
طريقاً سهلاً لنا إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لنا الطريق، إلى أبي الغالي.
إلى من أهدتني الحب والحنان إلى أمي، إلى من تطيب أيامي بقربها "أمي" إلى
سندي بعد الله عز وجل.

إلى من هم جزء مني وأنا جزء منهم إلى أوردة قلبي إخوتي.
إلى أختاي التي لم تلدهما أمي: سمراء وسميرة أثار الله طريقهما وسدد خطاهما
إلى صديقتي ورفيقتي الغالية حفظك الله لي مدى الحياة.
إلى صديقتي التي تقاسمت معي عناء إنجاز هذا البحث أثار الله دربك.
إلى كل صديقاتي كل باسمها اللواتي كانت سنداً لي في الفرح قبل الحزن، وإلى كل من وقف
بجانبي عندما ظللت الطريق
إلى كل القلوب النقية التي أحببني بصدق، إلى كل من كانت نوايا طيبة إتجاهي.
وإلى كل أساتذتي الكرام في كلية الآداب واللغات حفظكم الله وأثار طريقكم.

رَبِّهَا

الإهداء:

فكرت كثيراً لمن سأهدي هذا العمل، فوجدت أمي من تستحقه، تلك التي لا تعرف الكتابة والقراءة، لكنها
تقرأني بروحها... إليك يا بلسم الشفاء حفظك الله لنا...

إلى من رحلوا دون وداع وتركوا ورائهم ذكريات حزينة... إلى من اخفت أصواتهم وأجسادهم
وبقيت أرواحهم تخلق في سماء حياتنا إلى روح أبي الطاهرة وابن خالتي رحمكم الله...
إلى بسمة قلبي نجمتي المفضلة معلمتي الأولى وحببتي الدائمة...

إلى من أعتمد عليه، قدوتي في الحياة أخي (نور الله)...

إلى الجميلة دائماً (انتصار)

إلى البراعم وبهجة البيت (أصيل وأمني) وإلى النور الذي أثار بيتنا وكان أجمل إضافة إلى عائلتنا

... (إياد)

إلى صديقتي الغالية (ربيعة) وعائلتها وأخص بالذكر أختها التي ساعدتنا في إنجاز هذه المذكرة.

شيماء

بالعربي

مَقَامَةٌ

مقدمة:

ان الأدب تعبير عن مخاض الأحداث التي يعيشها المجتمع ولا يحيا إلا بالاحتكاك معه، لتكون الرواية أكثر أجناسه تعبيراً عن الواقع بمختلف ظواهره و قضاياها (الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية و بالأخص الدينية...)، فهي استنطاق للمسكوت عنه في الواقع، يجيها الكاتب في إيقاع سردي يؤثر على أحاسيس القارئ ينت

قل به إلى عالم تلك الرواية و يجبره على العيش مع شخصياتها و أحداثها.

ولقد اختارت خولة حمدي عبر كتاباتها الروائية التعبير عن روح العصر لتجسيد الواقع بأحداثه ومواقفه ومختلف قضاياها، ومن أهم هذه القضايا التي إليها الصراع الديني بين الآخر اليهودي و نظرتة للأنا المسلمة التي تمثل فوبيا له، لا بد من التخلص منها، و لم تتطرق الروائية لإبراز النظرة السلبية فقط بل سلطة الضوء على العلاقة الإيجابية بينهما ومدى تأثير كل منهم على الآخر، فلقد عمل الآخر على طمس هوية الأنا المضطهدة، و أصالتها و عيشها أجواء من القهر والعنف والصراعات والحروب بشتى أنواعها الفكرية و الاستعمارية.

و سبب اختيارنا لهذا الموضوع هو رغبتنا في الخوض في مواضيع الساعة التي لاقت اهتماما روائيا واسعا في السنوات الأخيرة، ومحاولتنا للكشف عن مواقع الأنا بالآخر في الرواية التونسية.

وهناك مجموعة من الدراسات التي تناولت هذه الثنائية من بينها:

- (نحن و الآخر في الرواية العربية المعاصرة) لنجم عبد الله كاظم.

- (الأنا و الآخر في الأدب الأنثوي) ل محمد جلاء إدريس.

- (إشكالية الأنا والآخر) لماجدة حمود.

- (جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي) لفاضل أحمد العقود.

كما تهدف هذه الدراسة إلى توضيح الصراع بين الأنا والآخر، من خلال عدة تساؤلات منها:

- ما الحدود المفهومية للإسلاموفوبيا والآخر في الرواية؟

- ما العلاقة بين الأنا و الآخر في الروائيتين؟

- كيف تجلت صور الأنا و الآخر في رواية 'في قلبي أنثى عبرية'؟
- ما هي نظرة الآخر اليهودي للآنا المسلمة؟ وما هي نظرة الأنا المسلمة للآخر اليهودي؟
وكيف حاول كل منهما الحفاظ على أصالته في رواية 'في قلبي أنثى عبرية'؟.
- فيما تكمن عنصرية الآخر الأجنبي في رواية 'غربة الياسمين'؟ ولماذا أعتبر الحجاب رمز
للتخلف والقهر؟

- أين تكمن صورة الإرهاب في رواية غربة الياسمين؟
- وما هي أهم معتقدات الآخر في رواية 'غربة الياسمين'؟
وللإجابة على هذه الإشكاليات قمنا بتقسيم البحث إلى مدخل وفصلين وخاتمة مذيبة بقائمة
للمصادر والمراجع وفهرست للموضوعات.

أما المدخل فعرجنا لتعريفات نظرية (الآخر، اليهودي، الإسلاموفوبيا....) المتعلقة
بالموضوع، أما بخصوص الفصل الأول فكان مخصصا لدراسة تجليات الآخر في رواية 'في قلبي أنثى
عبرية'، حيث وضعنا أهم صور الآخر اليهودي في الرواية، من صورة اليهودي العنصري إلى
اليهودي المتسامح، و سبل مواجهتها للآنا المقاومة، كما تطرقنا إلى نظرة كل منهما إلى الطرف
الثاني، وسجلنا ملخصا لفكرة البحث في الفصل الأول.

أما بخصوص الفصل الثاني فقد كان عنوانه بـ 'الإسلاموفوبيا والآخر الأجنبي' في رواية
'غربة الياسمين' واندرجت تحت ثلاث مباحث أهمها: ثقافة الآخر، وعلاقة الأنا والآخر، وعرضنا
فيها عناوين فرعية (علاقة المحبة وعلاقة المصاحبة)، والمبحث الموالي تحت عنوان: عنصرية الآخر في
الرواية.

وقد توصلنا المنهج الموضوعات لبحثنا مع الإفادة من بعض إجراءات المناهج الأخرى التي
تداخلت مع منهجنا بشكل أو بآخر.

و كأني بحث علمي فقد واجهتنا مجموعة من الصعوبات و العراقيل أهمها:

- عدم العثور على المصادر والمراجع المحيطة بموضوع الدراسة رغم البحث المتكرر، بالإضافة إلى قلة الدراسات حول الموضوع والأخص من الجانب الديني.

و في الأخير نتقدم بجزيل الشكر والامتنان لأستاذتنا المحترمة "الدكتورة آمال كبير" في توجيهها، وللجنة المناقشة ولكل من كان له فضل في مساعدتنا على إتمام هذا البحث.

معا

مدخل: مفاهيم نظرية

1- مفهوم الآخر:

يشكل الحديث عن الآخر في الأدب العربي الحديث والمعاصر سعة ذات مكانة بارزة نظراً لارتباطها الجدلي بالأنا، إذ أنه عند الإشارة إلى صورة الآخر يستدعي ذكر الأنا، كما أن صورتنا لذاتنا توجب حضور الأنا، وهذا ما يجعل مفهوم الآخر يتسع.

يعرفه الخليل أحمد الفراهيدي في معجم العين : "تقول هذا آخر، وهذه أخرى (...). والآخر: الغائب، و أما آخر فجماعة أخرى"¹.

وعند ابن منظور في لسان العرب: "الآخر بالفتح أحد الشيعين، وهو اسم على وزن أفعل والأنتى أخرى... والآخر بمعنى غير، كقولك: جل آخر وثوب، وأصله أفعل من التأخر فلم اجتمعت همزتان في حرف واحد استقلتا، فأبدلت الثانية ألف لسكونهما، وانفتاح الأول قبلها"²، وهكذا ورد مفهوم الآخر بمعنيين ويقصد به أحد الشيعين أو الأمرين أو الغير أو الغيرية مرادف للآخر.

ووردت هذه المفردة أيضا في (المنجد) على أنها: "أحد الشخصين أو الشيعين ويكونان من جنس واحد أو هو مايدل على فرق، على تمييز بين شخصين أو شيء مقصود وأشخاص أو أشياء من الفئة ذاتها و الجنس نفسه- إنك تحب آخر- أي أن من تحب ليس بالشخص المقصود ذاته بل غيره"³.

نستنتج من خلال التعاريف أن الآخر هو نقيض الأنا.

وفي الاصطلاح جاء مفهوم الآخر على أنه: "كل ما كان موجوداً خارج الذات المدركة، أو مستقلا عنها كان غيرها، ونحن نطلق على الشيء الموجود خارج "الأنا" اسم "اللأنا" أو الآخر،

¹-الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، تـج: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1984 ، ص 303-304.

²- ابن منظور، لسان العرب، ط1، المجلد 11، الجزء الأول، دار صادر، بيروت، لبنان، 1990، ص38.

³- أنطوان نخصة وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط1، دار المشرق بيروت، لبنان، 2000، مادة (آخر. آخر)، ص11.

فالأنا إذن هي الذات المفكرة والموضوع الخارجي هو الآخر¹ بمعنى آخر أن كل ما هو ليس أنا هو آخر بالضرورة، ذلك لأن كل وعي للذات هو في الوقت نفسه وعي بالآخر².

ويعرف الآخر أيضا بأنه: "الآخر هو طرف غير الذات أو هو الطرف المقابل للذات، كما نفهم أيضا أن ثمة تلازما بينهما"³. فوجود الآخر بالضرورة يتحقق بوجود الأنا، وبحضور الآخر تدرك الذات الاختلافات التي تفتقد إليها، فتتجه إلى حاجتها فيه. لأن "الآخر حضور يحتد فيه شعور الذات بذاتها وتزداد رغبتها في الاكتمال عبر الامتزاج به أو بما يرمز إليه"⁴. وهذا ما أكد وظيفته في بلورة الهوية ذلك أن الآخر "هو المختلف في الجنس أو الانتماء الديني أو الفكري أو العرقي"⁵ وهذه المبادئ تجعل من الأنا "أنا" ومن الآخر "آخر" بمعنى أن "الغيرية هي صورة أو مفهوم الشخص أو الجماعة للأشخاص الآخرين أو الجماعات الأخرى"⁶ التي لا تتماثل مع صورة الذات أو الفرد أو الجماعة ويرى (جاك لاكان G.Lacan) "أن المرء لا يتشكل كفرد دون علاقة تربطه بالآخر، فالطفل حيث يرى صوراً في المرآة فإنه لا يزال يستبدل صورة الآخر هذه بنوع من (الأنا)، لكنه تدريجياً يدرك أن الصورة محض صورة خارجية بالنسبة للذات، ومن هنا يصبح معنا فرداً مدركاً ومادة يدركها"⁷. ومن هذا السياق يمكن القول أن الآخر يبدأ بالتشكل تدريجياً عند الإنسان على مستوى الوعي من يبدأ التعرف على ذاته، وبهذا فالآخر عاملاً فعالاً في تكوين الذات لأنه انعكاس للأنا.

¹ - جميل صليب: المعجم الفلسفي، ط1، الجزء2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2013، ص63.

² - ينظر: عالية زروقي، صورة الآخر في الرواية الجزائرية، من سنة 1950 إلى سنة 2010، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2017، ص17.

³ - فاضل أحمد القعود: جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي (دراسة نصية)، ط1، دار غبداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1433-2012، ص33.

⁴ - سعد البازعي: مقارنة الآخر مقارنات أدبية، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1999، ص12.

⁵ - ماجدة حمود: اشكالية الأنا و الآخر (نماذج روائية)، د. ط، عالم المعرفة، دولة الكويت، 1434-2013م، ص17.

⁶ - نفس المرجع، ص17.

¹ - محمد الخباز: صورة الآخر في شعر المتنبي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2009، ص22.

ونجد ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtine) الذي ناقش مصطلح الآخر والأفكار المتعلقة به فيقول: "إننا نقيم أنفسنا من منظور الآخرين (...). إننا نتفحص تأملاتنا بحياتنا الخاصة ونتفهمها عبر وعي الأشخاص الآخرين"¹. بمعنى أن الآخر هو مرآة الأنا، لأن من خلال الآخرين نرى أنفسنا (ذواتنا)، ولا معنى للحياة من دون الآخر.

وفي الأخير نلاحظ من خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي للآخر أنه جاء بمعنى الغير، حيث حدد المفكرين تعريف الآخر تبعاً لموقع الناظر إليه، فتعدد مستويات الآخر تتنوع بتعدد دوائر الأنا.

2- اليهودية:

في هذا المطلب سنتطرق إلى تعريف اليهودية لغة واصطلاحاً.

أ- اليهودية لغة: اليهودية نسبة إلى اليهود.

واليهود لغة من هَوَدَ، والهود : التوبة والرجوع إلى الحق، ومنه التهوديد: وهو مشي كالديب، وصار الهود في التعارف: التوبة قال تعالى : { إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ } سورة الأعراف، الآية 156

و بالضم اليهود اسم نبي، ويهود يجمع على يهدان، وهوده حوله إلى ملة يهود، والهوادة اللين وما يرجى به الصلاح، وتهود صار يهودياً.²

قال الفراد: "يريد يهوداً، فحذف الياء الزائدة، ورجع إلى الفعل من اليهودية، وفي قراءة أبي: الامن كان يهودياً، ويجوز أن يجعل هوداً جمعاً واحده هائد، وأردوا باليهود اليهوديين، لكنهم حذفوا ياء

¹ - حسين عبيد الشمري: صورة الآخر في الخطاب القرآني، دراسة نقدية جمالية، ط1، دار الكتب الحلمية، بيروت، لبنان، 2008، ص29.

² - أبو القاسم الحسن بن محمد الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تج: سيد كيلاني، (د. ط)، دار المعرفة ، لبنان، ج1، ص 546.

الإضافة".¹ قال تعالى: { مَا كَانَ أَبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } سورة آل عمران، الآية 67.

ب- اليهودية اصطلاحاً:

اليهودية لها ميزاتھا الخاصة من بين أديان العالم وهي "ديانة العبرانيين المعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذي أرسل الله إليهم موسى عليه السلام، وعممت على الشعب على أسلوب التغليب".² وبهذا تكون اليهودية منسوبة إلى ابن النبي يعقوب كما يقر الشعب اليهودي³ وبخصوص الآخر اليهودي فإنه يمكن القول أن لفظة (يهود) "وردت في القرآن الكريم في أكثر من موضوع، ومن صور ذكره استعمال اسمين عند التحدث عن العبرانيين، فهم تارة يهود ومرة أخرى بنو إسرائيل"⁴

وفيما يتعلق بصورة الآخر في التوراة فقد وردت عبارات عديدة، فقد جاء في سفر التثنية، النص التالي: "إنك يا إسرائيل شعب مقدس للرب، إلهك لتكون له شعباً أخصاً من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب، التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب بل محبة من الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لأبائكم"⁵. ولقد عرف اليهودي بأوصافه الخاصة القائمة على حب الذات والتعصب ومحاولة فرض السياسة على العالم كله بمنهج مرحلي معتمداً في مسلكه على تعاليم اليهود الأوائل الذين تركوا لنا كتباً تحدد له المنهج الواجب إتباعه.

¹ - محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جوهر القاموس، تج: مصطفى حجازي، (د. ط)، ج9، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1973/1393، ص 353.

² - مانع بن حماد الجهني: موسوعة المسيرة في الأديان والأحزاب المعاصرة، ط4، ج1، دار الندوة العالمية، 1420، ص 465.

³ - ينظر: جودت السعد: أوهام التاريخ اليهودي، ط1، دار الأهلية، لا. م، د. ت، ص 117.

⁴ - مي عودة أحمد ياسمين: الآخر في الشعر الجاهلي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، فلسطين، 2005-2006، ص 69-70.

⁵ - رقية العلواني و آخرون: مفهوم الآخر في اليهودية و المسيحية، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2008، ص 52.

2- الإسلاموفوبيا :

ظهر مصطلح الإسلاموفوبيا أواخر السبعينات و بداية الثمانينات من القرن الماضي مع بروز ظاهرة الصحوة الاسلامية في العالم الاسلامي وخاصة بعد ثورة إيران 1979 و انطلاق ما سمي بالإرهاب الاسلامي بعد حوادث 11 سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية¹.

مفهوم الإسلاموفوبيا:

يشير " مصطلح الإسلاموفوبيا إلى صورة الهلع الثقافي قد يحدث إثر شيوع موجات من الحذر العام تجاه دولة أو حركة سياسية أو دعوة دينية أو حضارة موازية أو معاصرة لحضارة من الحضارات، وذلك مثلما حدث إزاء الهلع من النازية قبل وخلال الحرب العالمية الثانية، وتخوف العالم الرأسمالي الغربي من الاشتراكية خلال فترة صعود الاتحاد السوفيتي السابق وتمكن النظام الشيوعي في الصين وشرق أوروبا وكوبا، ومنها التخوف من الإسلام"²

والملاحظ أن المجتمعات الغربية ترى الإسلام أنه دين عنف وأن انتشاره عبر العالم سيؤدي إلى إلحاق الضرر بالديانات الأخرى. لأنهم أطلقوا مساواة بين الإرهابيين والمسلمين.

بالإضافة إلى ارتباط " مفهوم 'الإسلاموفوبيا' في الكتابات الغربية بمجموعة من المسلمات المسبقة والسلبية عن الاسلام والمسلمين (...)، وهي قناعات خاطئة مبنية على فوقية المستعمر"³. لتشويه صورة الاسلام والمسلمين حول العالم.

2- الرواية التونسية بين النشأة والتطور:

4-1- النشأة:

كانت البدايات الأولى لنشأة الرواية التونسية مع صالح سويسي القيرواني كما تقرر "...المصادر المختلفة على أنه مبتدع فن الرواية في تونس، و والدها الشرعي، و مبتكر هذا الفن

¹ - ينظر: محمد أحمد النابلسي: جنون الإسلاموفوبيا، الكتاب العربي للعلوم النفسية، إصدارات محكمة في علوم النفس، عدد 38، 2015، ص9.

² - مجموعة باحثين: بوستتوفيف، بوفنور اسماعيل، حميداني سليم. الإسلاموفوبيا في أوروبا - الخطأ والممارسة-، ط1، المركز العربي الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، د. ت، ص 13.

³ - المرجع السابق: جنون الإسلاموفوبيا، ص9.

اشتهر شاعراً تقليدياً ثم نزع الشعراء العصريين، و خاض ميدان كتابة المقامة و المقالة القصيرة في كتابه (منجم التبر في النثر والشعر)¹. إذن فالرواية التونسية تعود إلى مؤسسها صالح سويسي القيرواني في روايته الأولى 'الهيفاء وسراج الليل'.

كما تمثل أعمال " محمود المسعدي أحد الدعائم في نشأة الرواية التونسية، وذلك بتأليفه كتاب 'حدث أبو هريرة قال' الذي يعود تأليفه إلى سنة 1939م، ولكنها لم تنشر في شكل رواية إلا في عام 1973م²

ومما سبق يمكن القول أن الفضل يعود لصالح سويسي القيرواني ومحمود المسعدي في ميلاد الرواية التونسية.

4-2- التطور:

كان لجامع الزيتونة والقيروان في تونس الفضل في الحفاظ على اللغة العربية من الانتشار والانقضاء فجامع الزيتونة "استطاع أن يحافظ على الثقافة باللغة العربية الإسلامية في وجه الغزو الثقافي الفرنسي"³.

كما أن ظهور الرواية التونسية المكتوبة بالعربية كان أسبق من نظيرتها المكتوبة بالفرنسية، وقد عملت الصحافة على تشجيع هذا المد الثقافي والأدبي، ومكنت التونسيين من الاتصال بالأدب العربي والغربي المترجم عن الفرنسية والاسبانية وغيرها.

"ولعل أنسب المعايير التي يمكن اعتمادها في تحديد المراحل الكبرى للرواية التونسية هو: معيار الشكل المادي الخارجي والمعياري الزمني اللذان يتكاملان هنا ويتحدان. وبعتماد هذين المعيارين تلوح لنا مرحلتان اثنتان متباينتان:

¹ - إعداد مجموعة من الباحثين: تاريخ الأدب التونسي، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، 1993، ص33.

² - محمود المسعدي: الأعمال الكاملة (المجلد1)، جمع وتقديم و بيبلوغرافيا محمود طرشونة، دار الجنوب والنشر، مطبعة معامل الطباعة فيتري، وزارة الثقافة والشباب والترفيه، ديسمبر 2002م، ص10.

³ - تركي رابح: جهود الجزائر في تعريب التعليم العالي والتقني، مجلة الفيصل، عدد37، السنة 8حزيران، يوليو 1984م، ص84.

● **المرحلة الأولى:** هي مرحلة صدور الروايات متسلسلة في الصحف والمجلات وهي تتفق مع مرحلة ما قبل الاستقلال.

● **المرحلة الثانية:** هي مرحلة صدور الروايات في كتب مستقلة، وقد انطلقت سنة 1956م بقيام دولة الاستقلال¹.

وبالرغم من أننا اسلفنا في الذكر أن الريادة تعود إلى "القيرواني" و "المسعودي" بنصوصهم المتصدرة قائمة ابتداءً فن الرواية في تونس. إلا أننا لا يمكن أن ننسى أعمال "البشير خريف" أحد الروائيين التونسيين الذين أرسوا دعائم الرواية التونسية وتتميز ابداعاته "بالنضوج، وبتفرد عن غيره من الروائيين باستخدام لغة عامية خاصة وهي اللغة الجريدية أو لغة جنوب تونس، كما يعتبر مؤرخاً صادقاً للبيئة الجريدية، منذ دخول المستعمر الفرنسي إلى حين استقلال البلاد وعليه سيظل البشير خريف من الروائيين المتميزين في تونس برؤيته الواقعية الاقتصادية (...)، وتشغيل الوصف الاستقصائي التفصيلي في كثير من الأحيان والتأنيق فيه سرداً وتقويماً وتعقيباً"².

كما يمكن تقسيم الرواية التونسية إلى ثلاث اتجاهات:

1- "الرواية الكلاسيكية بأبعادها الواقعية والاجتماعية والتاريخية والرومانسية.

2- الرواية التجريبية ذات النمط الحديث الانزياحي.

3- الرواية التأصيلية ذات المنحنى التراثي.³

5- علاقة الأنا والآخر:

إن إذا قلنا الآخر فهذا يستوجب بالضرورة وجود الذات (الأنا) فقد حاول الكثير من الباحثون أن يبرزوا هذه العلاقة التي لا بد أن تبنى على أساس المودة، والحوار، والتفاهم، إذ نجد عيسى فوزي يقول: "العلاقة لا بد أن تؤسس على الحوار والبناء والتفاهم والمودة إلا أنهم توصلوا

1- الموسوعة التونسية المفتوحة: المجمع التونسي للعلوم والآداب، آخر تعديل كان يوم 6 مارس 2017 الساعة 12:53.
www.mawsouaa.tn%2F&h=AT1cHixPjRzzADr96PrqVHWF5XIHMujHnf_fLCypNtCkvg2BgtglsqjUz5d0H6_fjTaRWD7Kw3SnjWDzOZIFVrF.

² - جميل همداوي: من الأدب التونسي الحديث والمعاصر، ط1، دار الألوكة للنشر، 2013م، ص5.

³ - المرجع السابق، ص5.

إلى أن هذه العلاقة قد تكون على نقيض من ذلك¹ فالعلاقة بين الأنا والآخر علاقة جدلية افتراضية، فهي علاقة قائمة على ثنائية الأشياء وهذا ما يولد رئين هما:

الأول: تكون العلاقة مبنية على الاحتكاك والتقارب والاتصال.

الثاني: تكون العلاقة مبنية على الرفض والتنافر.

إذا يمكننا أن نفرق بين هذين الاتجاهين في العلاقة بين الأنا والآخر كمايلي:

5-1- علاقة مبنية على الرفض والانفصال:

إذ يرى العديد من النقاد والمفكرين بأن العلاقة التي تربط بين الأنا والآخر هي علاقة مبنية على العداة والتعصب إذ يقول أحدهم: " إذا حاول الآخر أن يظهر في صورة العدو الذي يحاول رفض الطرف الآخر و الانقاص منه والنيل من معتقداته وقيمه وتهديد وجوده واستهداف ثقافته، وهو ما يؤدي إلى التنافر والبغض والانكار المتبادل ويتجلى الآخر في الصورة السلبية"² أي أن أساس وجود الآخر هو تدمير وجود الأنا، فالآخر أصبح يمثل هاجس رعب للأنا.

ف نجد الناقدة ماجدة حمود تقول: "قد تحول الهوية إلى نوع من التخريب والتعصب إلى انغلاق على الذات، ورفض الآخر، حتى أننا وجدنا من العرب من يرفض استخدام المناهج العلمية للغربيين بدعوى الحفاظ على الخصوصية"³ فالناقدة ترى أن الأنا المسلم العربي قد رفض الآخر الغربي بكل ما قدمه، حتى في مجال العلم والمعرفة.

إن هذا الرفض لم يؤسس الأنا العربي فقط، بل شارك في هذا الرفض الآخر الغربي أيضا، فالآخر كان يحمل للعرب عداة ونظرة كره وحققد، إذ تقول الناقدة ماجدة: "افتقد كثير من المستشرقين الموضوعية حين وظف بعضهم دراسته لخدمة الفكر الاستعماري..."⁴ فأعمال المستشرقين لم تتحلى وتنصف بالموضوعية، فكان هدفها الاطلاع على خصوصية العرب وليس دافعا علميا.

¹ - عيسى فوزي : صورة الآخر في الشعر العربي، ط. خاصة، مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين، الكويت، 2011، ص5.

² - المرجع نفسه، ص11.

³ - ماجدة حمود : إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، ط1043، دار عالم المعرفة، بيروت، لبنان، 2013، ص17.

⁴ - المرجع نفسه، ص20.

إذ تقول أيضا : "ألم نجد من يبذل جهده في هيمنة لغته على العربية، ألم يحصر الدين الاسلامي في جدار الفكر الارهابي واضطهاد المرأة وطغيان واستبداد..."¹ وهذا الموقف لناقذة ماجدة يدل على موقف ونظرة الآخر للأنا التي لا وجود للإنسانية فيها.

وهذا يدل على أن الرفض والانفصال، والعداء لم يكون من طرف واحد بل كان من الطرفين لمحاولة كل منهم الانقاص من الطرف الثاني.

5-2- علاقة مبنية على الاتصال والقبول:

بالرغم من كل ذلك الرفض والعداء، إلا أنه هناك جانب من القبول والصدقة، إذ يقول فايز محمد: "وتتضح اشكالية الأنا العربية والآخر الغربي بسبب سوء التفاهم والمواجهة السياسية، والعسكرية، أما علاقة الذات من الناحية الثقافية والاقتصادية، والتنمية فقد بدت ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها"² أي أن الرفض كان من خلال العلاقة العسكرية، أما من ناحية المعرفة والعلم كان لا يمكن رفض أحدهم للآخر.

فالآخر يعتبر لصيق بالأنا ومكمل له يقول جيمس مارك: "الأنا والآخر مولودان معاً"³

إذ لا يمكن للإنسان أن يعيش في مجتمع لنفسه دون وجود الغير.

كما يمكن أن تكون هذه العلاقة مبنية على أساس التسامح والتصالح وإلغاء كل العداوة والبغضاء، وذلك عن طريق التفاهم والحوار وهذا ما اقترحه الجابري كنموذج يدعو إلى فهم الآخر حسب ثقافته، فالنظر إليه يكون نظرا لواقعه الحقيقي الذي هو عليه وليس كما نتخيله، ونتصوره، إذ يسمح هذا بإدراك الآخر والتفاهم معه دون أحكام سابقة أو خيالات"⁴

¹ -ماجدة حمود: المرجع نفسه، ص 20.

² - فايز محمد: الأنا والآخر في الرواية الجزائرية في نص (كيف توضع من الذاتية دون أن تغضب) لعنارة لخص، العدد 11، مجلة آفاق علمية، المركز الجامعي بتسمسليت، الجزائر، جوان 2016، ص 129.

³ - ينظر: بن علي الحاج، مظهرات الآخر في الرواية العربية، رسالة لنيل شهادة ماجستير، أشرف عبد القادر شرشال، جامعة وهران، د.ت، ص 7.

⁴ - ينظر: بن علي الحاج، المرجع نفسه، ص 7.

إذ تجد ماجدولين ترى أن " العلاقة بين الأنا والآخر هي الخيط الناسج للنص الإبداعي، فالأحاسيس والواقف التي تحفل بها الاعمال الأدبية الخالدة تبقى متعلقة في العمق بجدلية الذاتي والغيري"¹ فالعلاقة بين الأنا والآخر تتمحور في الأعمال الإبداعية للنصوص الأدبية. وعليه يمكن القول في الأخير أن العلاقة بين الأنا والآخر تتعلق بنظرة الأنا للآخر، وصورة الآخر بالنسبة للأنا إذ أن هذه العلاقة تتحدد من نظرة إلى الغير، والرغبة في التعايش السلمي، والتأثير و التأثير المتبادل بين الطرفين.

6- صورة الآخر:

تعكس الصورة تمثيلاً ذهنياً يكونه الفرد عن موضوع أو شيء أو شخص انطلاقاً من مؤثرات بصرية أو لغوية أو ثقافية يخص مجتمعاً ما، وقبل التطرق إلى تحديد صورة الآخر لابد من الإشارة إلى أن هناك شرطاً أساسياً مقتضاه أن وجود الآخر يلزم وجود الأنا، باعتبار الذات هي من توجه صورة الآخر وتشكلها حسب وعيها الذاتي و "يستخدم مصطلح صورة الآخر للدلالة على مجموعة الخصائص والسمات والمعتقدات والسلوكيات، والأفكار التي تنسبها للآخرين سواء كانوا من الأفراد أو الجماعات والشعوب"² وبالتالي فصورة الآخر ليست هي الآخر نفسه بل تعبر عن مفهومه، وقد تكون هذه العلاقة في إطار "نفي الآخر على صورة يبينها مثلما بُنيت صورة الثعبان أو الشيطان، المهم إدراك أن موضوع النفي هو صورة الآخر، والصورة غير الواقع، حتى وإن كان الصراع حولها من رهانات الواقع"³. فصورة الآخر قد تكون فيها كثير من عناصر الواقع، كما قد يغلب عليها الوهم والافتراء.

كثير من الدراسات اهتمت بصورة الآخر ولكن من الملاحظ أن "ما يؤخذ على معظم هذه الدراسات اهتمامها بالآخر الغربي من جهة الصراع الحضاري ومواجهة المستعمر، أي تسليط

¹ - ماجدولين شرف الدين: الفتننة والآخر، ط1، مطابع دار العربية للعلوم، بيروت، 2012، ص25.

² - عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية، (د. ط)، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر، 1986، ص81.

³ - الطاهر لبيب : الآخر في الثقافة العربية، ضمن كتاب: صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999، ص192 .

الضوء على العلاقة السلبية معه، وعدم رصد العلاقة الإيجابية"¹. و بالتالي ؛ فإن الصورة التي سيحملها أو يقدمها عن الآخر لا يمكنها سوى أن تكون صورة سلبية تحمل في طياتها الظلم والاضطهاد.

¹ - ماجدة حمود، المرجع السابق، ص23.

الفصل الأول:

تمثيلات الأجر اليقوتية في رواية (في قلبه أنته)

هجرية

- 1- صورة الأجر اليقوتية في الرواية
- 2- نظرة الأنا المسلم الأجر اليقوتية.
- 3- نظرة الأجر اليقوتية الأنا المسلمة.
- 4- العلاقة بين الأنا والأجر

– تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية لخولة حمدي)¹

تمهيد:

لقد اعتمدت الرواية في نقل ورسم شخصياتها واحداثها على الصورة الروائية، إذا تعتبر الصورة في الرواية "نقل نفي ومحاولة لتجسيم معطيات الواقع الخارجي بواسطة اللغة، فهي تساير أحيانا دلالات صور الحفر أو التصوير الشمسي، فتكون حينذاك صورة شمسية... أو رسما محفورا تدل على ما ينطبع في الذهن أو النفس وقد تكون الصورة الروائية بمثابة انطباع غير أصيل بكونه فرد أو شعب عن فرد أو شعب آخر أو صورة جاهزة أو صورة سالبة أو صورة خادعة"² وعليه فالصورة هي تجربة عقلية يجسدها المتلقي المساهم في القراءة، ولقد تمثلت صورة الآخر اليهودي للأنثى المسلم في رواية "في قلبي أنثى عبرية" لخولة حمدي كالآتي:

1- مقارنة موجزة لمضمون رواية في قلبي أنثى عبرية لخولة حمدي:

تدور أحداث هذه الرواية حول فتاة تونسية الأصل (ربما) التي تركتها أمها المسلمة تحت جوارها اليهودي الذي يعيش في تونس، وتجري أحداث هذه الرواية بين تونس وجنوب لبنان وفرنسا، وتحدث الكاتبة في الرواية عن صراع الأديان إذ جاءت على ذكر الديانة اليهودية التي تمثلها أسرة (جاكوب) اليهودية التي تبنت (ربما)، وديانة الإسلام التي يعتنقها بطل الرواية (أحمد) التي وقعت (ندى) في حبه بعد أن أصيب إصابة بالغة و لجأ إلى منزلها طلب المساعدة، كما تذكر في هذه الرواية أحداث عن الصراع الإسرائيلي التي وقعت في جنوب لبنان والتي كان بطل الرواية (أحمد) أحد المدافعين عن الأرض العربية فيها، وكانت إصابته التي ذكرناها على إثر المواجهات التي قامت على أرض جنوب لبنان.

1- خولة حمدي من مواليد 1984 بتونس العاصمة، أستاذة جامعية في تقنية المعلومات بجامعة الملك سعود بالرياض، متحصلة على الشهادة في الهندسة الصناعية والماجستير من مدرسة المناجم، في مدينة سانت إتيان الفرنسية سنة 2008، متحصلة على الدكتوراه في بحوث العمليات من جامعة التكنولوجيا بمدينة تروا بفرنسا سنة 2011، مغتربة منذ 12 سنة وأم لطفلين.

² -محمد أنقار: بناء الصورة في الرواية الاستعمارية (صورة المغرب في الرواية الإسبانية)، ط1، مكتبة الادريسي للنشر والتوزيع، يناير 1994، ص13.

2- صورة الآخر اليهودي في الرواية:

2-1- صورة الآخر اليهودي العنصري:

لقد تجسدت صورة الآخر اليهودي من خلال عدة شخصيات في الرواية، منها شخصية (تانيا) زوجة (جاكوب) التي كانت ترفض كل العلاقات مع المسلمين مهما كان نوعها، و تمثلت هذه الصورة في رفضها للفتاه المسلمة (ربما) التي كانت محافظة على دينها الإسلامي، وهذا ما شكل خطر للآخر فقابله بالرفض التام للأنثى. وهذا ما نجده في الرواية "...لربما وممارساتها الدينية، توجه توجا مبتسماً، وهو يحاول تجاوز العاصفة ... رغم مرور ثماني سنوات على زواجهما، لم تقبل تانيا تماماً وجود ربما بين أفراد العائلة، فهي تبقى دخيلة، ولن تصبح يوماً من أصحاب البيت"¹ فموقف تانيا كان واضحاً برفضها لعادات ربما المسلمة بارتدائها الحجاب الشرعي، الذي يدل على محافظة الأنثى على دينه، إذ مثل حوار (جاكوب) وزوجته (تانيا) نظرة الآخر اليهودية الراض للأنثى المسلم بقولهما: "... وما إن فتح الباب حتى استدارت وقد تطاير الشرر من عينيها وهتفت: هل يمكنك أن تفسر لي ما الذي تفعله ربما؟

ارتبك جاكوب الذي لم يكن يدري كيف عليه أن يعالج الموقف وقال: يبدو لي أنها قد قررت ارتداء الحجاب الإسلامي... وذلك حقاً...

وقفت تانيا في عصبية متزايدة و أخذت تصرخ: حقاً؟ عن أي حق تتحدث؟"²، إن خوف وقلق تانيا من إلتزام ربما بتعاليم دينها الإسلامي، كان صريحاً على عدم تقبلها للدين الإسلامي، ونجد أيضاً صور أخرى لرفض الأنثى المسلم في الرواية مثل: "... كانت تتحرج على الدوام من الخروج مع ربما. يكفي أنها مسلمة. وهي لا تريد أن يعتقد البعض أنها تنتمي إلى عائلتها"³، ولم تتمثل صورة الآخر اليهودي في شخصية تانيا فقط، فقد تجسدت أيضاً في شخصيات أخرى منها (سونيا) وابنتها (دانا). فسونيا كانت تحمل نظرة حقده ورفض للأنثى المسلم وذلك بسبب فشل

¹ -خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية، دار كيان للنشر والتوزيع، د. ط، 22 ش الشهيد الحي بجوار مترو ضواحي الجيزة، المهرم، 2013، ص14.

² - المصدر نفسه، ص38.

³ - المصدر نفسه، ص55.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

زواجها الأول من شخص مسلم (سالم) مما أدى إلى تولد نظرة عدائية اتجاه المسلمين لديها، وتمثلت نظرهما عندما جاءت (سماح) أخت (أحمد) لزيارة (ندى) بقولها "ونظرة عابسة على وجهها: من تكون هذه الفتاة المسلمة؟

ردت ندى على الفور دون أن تتلثم، فقد كانت جهزت كذبتها منذ رأت علامات الاستهجان على وجه أمها وهي تحمل إليها القهوة:

-إنها زميلتي في الكلية...

- وما الذي تريده؟

-تغييت عن الدروس يوم أمس ... وجاءت تسألني عن موعد الاختبارات !

- ولم تجد غيرك لتسأله!

قالت سونيا ذلك وهي تتبعد عنها، دون أن تحاول إخفاء امتعاضها. لحقتها ندى وهي تهتف:

-لست أفهم، لماذا تكرهين المسلمين، في حين أنك قبلت الزواج من أبي وهو مسلم؟!!

قالت سونيا في مرارة دون أن تلتفت إليها:

- ربما كان والدك هو السبب... كرهت فيه كل المسلمين!¹ وقد تجلت نظرة سونيا

العدائية الراضية للمسلمين أيضا في المقطع السردي الآتي: "...صرت سونيا على أسنانها في حقد وقالت:

-كم أتمنى أن أنسيهما أن لهما أبا مسلما في مكان ما من هذا العالم! كان يجب أن أخفي

عنهما ذلك!..."² إذ نجد أيضا النظرة العدائية لسونيا للمسلمين في مقطع خطبها لابنتها: "...وما عقيدته؟

-لم نتحدث في ذلك... لكنني أظنه مسلما!

هتفت سونيا على الفور في هلع:

¹ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص53

² - المصدر نفسه، ص 59

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

-مسلم؟! لن أزوج ابنتي من مسلم! أنا أرفض هذه المصاهرة!!"¹
إن الآخر اليهودي كان شديد الحقد على الأنا المسلم إذ حملت الرواية العديد من المشاهد و
الصور التي تصور الرفض التام للأنا المسلم وكل عاداته المسلمة.

1-1- صورة الآخر اليهودي المتسامح:

لقد كشفت خولة حمدي في روايتها " في قلبي أنثى عبرية" على موقف الآخر اليهودي المتسامح اتجاه الأنا المسلم، وقد كان هناك
حقد خفي تمثل في العداء الباطني، ويمكننا أن نبين هذه ال صور كالأتي: ثنائية (التسامح الظاهري و العداء الباطني):

1-2-1- التسامح الظاهري:

يعد التسامح جسر تواصل بين الأنا والآخر "... تجاوز موروث الكراهية الذي ينغص حياة
الكبار، فتعيش الأنا العربية طفولتها وبراءتها بعيداً عن السياق التاريخي، لذلك لم تر في الآخر عدواً
عليها الابتعاد عن أذاه.... عليا الاقتراب منه..."²، فهو يعد البنية الأساسية للقيم الفاضلة من
مودة، وحب، وراقة، إذ شاهدنا في الرواية عدة مشاهد للتسامح الظاهري الذي تمثل في الآخر
اليهودي جاكوب والأنا المسلم ربما في المقطع السردي الآتي: "...اقترب منها مبتسماً، وهو
يتحسس قطع الحلوى التي استقرت في جيب سرواله. تناول كفتها وانحنى يُقبّل خدّها في حنان
وهو يدسّ قطعة الحلوى في كفتها الأخرى. رسمت الصغيرة ربما ابتسامة خفيفة على شفثتها وهي
تُسلمه كفتها، ليمضيا معاً في الريق إلى المنزل."³ ، وفي قول الروائية أيضاً: "نشأة ربما بين أحضان
عائلة جاكوب اليهودية وهو يعتبرونها فرداً منهم، فقد كانت بهجة البيت الذي يُقيم فيه الأبوان
المتقدمان في السن وابنهما جاكوب، وروحه النابضة بالحياة..."⁴. فجاكوب كان يعامل ربما بكل
حب ومودة وكان يفعل كل ما بوسعه من أجل المحافظة على الفتاة ربما الصغيرة، تقول الروائية:

¹ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص56.

² -محمد سيد أحمد متولي: صورة اليهودي في الرواية العربية المعاصرة. رواية سردية مغايرة، العدد23- رسالة المشرف-مصر،
د. ت.

³ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص12.

⁴ -المصدر نفسه، ص13.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

"كانت والدتها قد أوصته بالحفاظ على دينها، وعدم محاولة التأثير عليها. وهو يفعل ما بوسعه حتى يحترم وصيتها، ويؤدي الأمانة على أكمل وجه. كانت والدتها تأخذها معها أيام الجمعة إلى المسجد لحضور الصلاة والدرس الذي يليها، لذلك لم يفكر في حرمانها منها. كان يأخذها بنفسه، ثم يكتفي بالاستماع إليها وهي تحدثه عما تتعلمه من أمور دينها"¹ شخصية جاكوب هنا كانت شخصية متسامحة مع الفتاة ربما إذ كان يشركها في تلقي دروسها وتعاليم دينها الإسلامي، وكان شديد الحرص على أداء أمانته اتجاه أمها المتوفية، إذ أن الأنا المسلم (ربما) كان يحمل للآخر اليهودي جاكوب مشاعر حب واحترام وهذا ما تمثل في المقطع الآتي: "...ووضع يده على كفها في حنان وهو يهمس: ربما... ما بك؟ هل هناك ما يزعجك؟

ظلت الطفلة مطرقة، وتمت بصوت ضعيف:

- بابا يعقوب.

كم يحب أن تناديه "بابا يعقوب" فقد عودها ذلك منذ صغرها. كان ذلك أول عهده بالأبوة... وكان يُسعدُها أن تناديه باسمه المعرب، أو كما ورد في القرآن... طالما كان في ذلك إرضاء للصغيرة، رنا إليها في اهتمام:

-نعم صغيرتي.

رفعت إليه عينين مليئتين بالدموع، وهتفت في تأثر: أنا أحبك كثيراً"²، فربما كانت تعتبر (جاكوب) أباً لها فهو الذي كفلها وهي في سن صغير وصار كل عائلتها، فربما كانت تمثل عنصراً هاماً في حياة جاكوب: "...ولم يكن هناك سوى ريماء، هي وحدها تشعره بحاجتها إليه وإلى رعايته، يحس بإعجاب في عينيها حين يحكي لها حكاية قبل النوم..."³، فجاكوب أحس مع ريماء بشعور الأبوة الذي لم يشعر به مع أبناءه من صلبه (سارا و باسكال) فهو لم يبادلهم ذلك الحب والحنان كما كان يشعر مع (ريماء).

¹ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص13.

² - المصدر نفسه ، ص17.

³ -المصدر نفسه، ص16.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

فالآخر قد كان شديد التسامح مع الأنا والتأثر به فـ"قبول الآخر في اختلافه، والوعي بأن هذا الاختلاف هو جوهر الحياة وأساسها"¹، فالآخر كان متسامحاً ومتقبلاً للأنا حيث تصف لنا الرواية حالة الآخر اليهودي بعد رحيل الأنا المسلم متمثل ذلك في رحيل ريما إلى لبنان بقولها:

"رحلت ريما..."

كان الحزن يُغلف قلبه وهو يخطو داخل المنزل الهادئ هدوء المقابر. لم تعد هناك حياة! فحياة البيت وروحه النابضة رحلت... رحلت وهو الذي أخذها بنفسه لينفيها إلى أرض بعيدة هل سيكون لحياته معنى، في غيابها؟"² فجاكوب بعد رحيل ريما صار أسيراً لطيفها فهو كان في كل مرة ينتظر عودتها "....ريما التي باتت تسكن خياله هي ريما الطفلة، ريما الصغيرة التي تستقبله بذراعين مفتوحين وتتعلق بعنقه، تعانقه وتركب على ظهره ثم تصاحبه في جولة عبر السوق، تلك ريما التي يتمنى عودتها"³، فهذا الموقف يدل على شدة حزن الآخر اليهودي برحيل الأنا المسلم بقولها في الرواية: "....ليدخل إلى عالمه الكئيب... دون ريما..."⁴، فرحيل ريما على منزل جاكوب ترك فراغاً كبيراً على نفس جاكوب (الآخر اليهودي)، إذ الآخر اليهودي بابتعاد الأنا المسلم (ريما) زاد تعلقاً وشوقاً له وذلك في قولها: "...توجه جاكوب مباشرة إلى الهاتف، و أفكار كثيرة تدور في رأسه. هل ريما بخير؟ كَوْن رقم راشيل في عجلة، وانتظر في نفاذ صبر وهو يستمع إلى رنين الهاتف من الجانب الآخر للخط. و ما هي إلا لحظات حتى جاءه صوت رقيق، طفولي ناعم رنّ في أذنه رغم المسافات:

—ريما؟!—

¹ - ألفة يوسف : الأنا والآخر: القبول لا التسامح، مجلة الاتحاد، الاربعاء 14 ديسمبر 2016، 20:27.

² - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص 71.

³ - المصدر نفسه ، ص 97.

⁴ -المصدر نفسه، ص 99.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

هتف ما إن وصله صوتها في انفعال. وعلى الجانب الآخر، تلعثت الفتاة وفرت الدموع إلى عينيها دون استئذان...

-بابا يعقوب

-كيف حالك يا صغيرتي؟ أنت بخير؟¹. في هذا المقطع نلاحظ شوق جاكوب لريما الذي لم يستطيع أن يخفيه.

إذ نجد روح التسامح عند الآخر اليهودي متمثلة أيضا في شخصية (راشيل) أخت جاكوب التي تكفلت برعاية ريما عند ترحيلها إلى لبنان واستقبالها في منزلها واعتبارها فرد من العائلة، وما يدل على تسامح وحب راشيل لريما هو المقطع التالي: "...ثم استدارت إليها وابتسامة واسعة تزين وجهها:

-تعالي، من هنا يا حبيبي... هذه ستكون غرفتك...

كانت قد فتحت باب غرفة جانبية على الرواق... لم تكن راشيل غريبة عنها، فهي قد عرفتها قبل زواجها وسفرها إلى لبنان. وكانت هي الأخرى تحبها وتعطف عليها مثل كل أفراد أسرتها التي عاملتها خير معاملة في طفولتها...²، فروح راشيل المرححة ونفس ريما الطفولية ولد مشاعر حب وألفة بينهم رغم اللقاءات القليلة بينهم.

"... انظري... نافذة الغرفة تطل على الحديقة... منظر خلاب في الربيع... أرجو أن تعجبك..."

هتفت ريما في حماس مفتعل:

-تعجبني؟ إنها رائعة جداً! حتى غرفتي في منزل بابا يعقوب لم تكن بهذا الجمال!

ضممتها راشيل في حنان وهي تهمس:

¹ - حولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص102-103.

² - المصدر نفسه ، ص75.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

-أرجو أن تطيب لك الإقامة معنا..."¹، فشخصية راشيل اليهودية لم تبخل على الفتاة المسلمة ربما وقد فعلت كل ما بوسعها لجعل إقامتها في منزلها إقامة مريحة إلا أن زوجها اليهودي لم يكون عند حسن ظنها فقد حاول أن يحول حياة الفتاة المسلمة ربما إلى كابوس "...إنه صوت زوجها! هرولت في اتجاه الصوت في فزع، فرأته وهو يطرق باب غرفة ربما الموصل في عنف وغضب شديدين:

-قلت لك افتحي، وإلا حطمت الباب على رأسك!!"²، فتصرف زوجها مع ربما بهذه القسوة جعلها تبحث عن شخص آخر يعتني برها ويكون أكثر أماناً لها، ولم تفكر إلا في (ندى) التي تعلم أنها سوف تعتني بها "... كانت تعلم أن ندى هي أكثر من سيرحّب برها ويهتمّ بها. فإن انزعج كل أفراد العائلة من كونها مسلمة، فإن ندى بالتأكيد لن تفعل ذلك! وارتباطها بأحمد هو خير دليل. استدارت إلى رها وهي تخاطب ندى: ندى حبيبي... أعرفك برها!

ابتسمت ندى وهي تتقدم نحوها وتعانقها بعفوية"³، فندى كانت هي الخيار المناسب لراشيل من أجل الاعتناء برها.

1-2-2- العداة الباطني:

رفض الغرب بما يملكه من قدرات أكاديمية وإعلامية و سلعية و خدمية أن يسمح للآخر المسلم بهامش انتاج مصار حضاري منفصل عن المسار الحضاري الغربي، الذي يفرز في آن واحد المن والسلوى للإنسان الغربي، والسمة القاتل لغيره، فالفكر الغربي لم يتخلى أبداً عن التمرکز حول ذاته وعن النظر إلى الآخر من موقع الاختلاف والاتفاق..."⁴

أي أن الآخر اليهودي يريد أن يضل دائماً مسيطراً على الأنا المسلم وأن لا يخرج عن دائرة هامشه وأن لا يأسس لنفسه مساراً منفصلاً عن الآخر اليهودي، فعلى الرغم من التسامح والمحبة

¹ - حولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص76.

² - المصدر نفسه ، ص86.

³ - المصدر نفسه ، ص111.

⁴ - السيد عمر : الأنا والآخر من منظور قرآني، ط1، دار الفكر ، دمشق، 2008، ص128.

الفصل الأول : ————— تمثلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

التي كانت ظاهرة في شخص (جاكوب) اتجاه الفتاة المسلمة (ريما) إلا أنه هناك عداً يكمن بصورة خفية للآخر اليهودي اتجاه الأنا المسلم دون التصريح به، فمثلاً: عندما دخل جاكوب على الفتاة ربما الممثل في المقطع الآتي: "... يبدو أنها مستيقظة في هذا الوقت ! أدار مقبض الباب وفتحها بلطف... تسمّر في مكانه حين ألقى الفتاة تجلس على سجادتها، وتمسك بين يديها كتاباً. كانت تقرأ منه بصوت رخيم وبخشوع مؤثر. كتاب قرآن. لبث جاكوب يتأملها في صمت وقد انتابه إحساس غريب. لم يُصغي إلى الكلمات التي تنطق بها، لكن ترتيلها كان ذا لحن شجيّ لامس جدار قلبه القاسي. انتبه حين توقفت عن القراءة. أغلقت كتابها والتفت إليه مبتسمة، فبادرها:

- ما الذي تفعلينه في مثل هذا الوقت؟

- استيقظتُ لصلاة الفجر...

- هاه؟ هل هي صلاة جديدة؟¹، فعبارة 'هاه' تدل على السخرية، والتشكيك في نفس الفتاة المسلمة بقوله 'هل هي صلاة جديدة؟'. ونجد أيضاً نبرة العداً في قول جاكوب للفتاة ربما: "... لكنه فشل في إخفاء الخطوط العابسة التي تخللت جبينه. نظر إليها متودداً وقال:

- إذن قررت ارتداء الحجاب؟

هزت ريما رأسها علامة الإيجاب، فقال جاكوب:

- جيد... أنت تتعلمين الدين بسرعة...². فارتداء ريما الحجاب الإسلامي سوف يؤثر على علاقته مع زوجته وابناءه فبرغم من تلك الابتسامة إلا أنه كان يخفي خلفها كثيراً من الشؤم والحيرة "... تذكر جاكوب عندها غضب تانيا والامحها المكفهرة، فقال: ولكن يا حبيبي، لا داعي لارتدائها داخل المنزل... في المقابل يمكنك الخروج بها مثلما تردين...³، فعبارة 'في المقابل' تخفي

¹ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص 28-29.

² - المصدر نفسه ، ص 38.

³ - المصدر نفسه، ص 39.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

النية السيئة لجاكوب فهو يجبر ربما على أن لا ترتدي حجابها في المنزل بالرغم من وجود رجل أجنبي فيه.

وقد تجسدت أيضا صورة اليهودي العدائية عندما قامت العاملة بتبرع بكمية العمل الإضافي لأحد المساجد في المشاهد الآتية: "...حدّجها جاكوب بنظرة طويلة فيها شيء من الازدراء والترفع، ثم قال في هدوء عجيب:

- أرسلت في طلبك لأستفسر منك عما فعلته بالإنتاج الإضافي للمعمل؟

ضمتّ كفيها أمامها في اضطراب، وقالت في حذر:

- ألم تطلب مني التبرع بما للأطفال المحتاجين؟

انحنى إلى الأمام في انتباه وهو يهز رأسه موافقا، وفي صوته همم لاذع:

- نعم... وأي الجمعيات الخيرية قصدت لتوزيعها؟

تلعنمت الكلمات على لسانها، وأخذت تمهمهم في توتر، وقد أدركت ما يرمي إليه:

- فكرت أن... هناك... من يعرف المحتاجين... أكثر مني... ف... فقصدت... إمام

المسجد...

قاطعها جاكوب وهو يضرب بقبضته على سطح المكتب في انفعال:

تقصدين المسجد للتبرع بمنتجات معلمي أنا؟! هل هذا ما أفادك به تفكيرك وذكاءك المنعدم؟

أم هو ما سوّلت لك نفسك إيّله للسخرية مني والتكيل بي؟!!

انفجرت شفتا المرأة في محاولة للتبرير والتفسير، لكن صوت جاكوب علا في ثورة غير

متوقعة، وأخذ يصرخ مفرّجاً الغضب...: يهودي يتبرع بماله للمسجد!! هل سمع أحد بهذا من

قبل؟¹، فبالنسبة للآخر اليهودي ما قامت بها الأنا المسلم يعتبر سخرية و تنكيل به فقد جعلته

سخرية بين أهله وبني دينه اليهودي "...يا للسخرية! هذا هو الإسلام وهذه هي أخلاقأهله! افوجئ

¹ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص 114.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

حين قاطعته المرأة في صلابة وحزم يختلفان عما كانت عليه من استكانة منذ لحظات: رزقي بين يدي الله وحده! ولا أظني قد فعلت ما يستوجب شتمي بهذا الأسلوب....

-إذن رزقك ليس بين يدي؟ حسن إذن! لا أريد أن أراك مجدداً في المعمل، وسنرى كيف ستسترزقين!"¹، فجاكوب كان قد سخر من الدين الإسلامي وتعاليمه جراء ما فعلت العاملة بالتبرع للمسجد من مصنعه، ومن خلال بعض المشاهد يتضح لنا أن الآخر اليهودي كان يحمل في خفياه عداً باطنياً للأنا المسلم والذي لم يتمكن من توجيهه به.

1-2-3- صورة الآخر العنيف:

إن تكوين علاقة عادلة بين الأنا والآخر وضمن الظروف والمعطيات المتاحة حالياً، لا يتم أو لا يبدأ بما هو سياسي، لأن تاريخ العلاقة بينهما ملئ بالمشاكل التي صنعتها الحوافز والمصالح السياسية، مستفيدة من المنطق الإيديولوجي الجديد في أوروبا المتجه إلى القضاء على مكونات كل حضارة وكل منطقتين ثقافيتين ينافس أو يعارض الحضارة والمنطق الغربي"².

وهذا ما رسمته الروائية في قولها: "قلت لك افتحي وإلا حطمت الباب على رأسك!! حدثت فيه بهلع، وقد تطاير الشرر من عينيه. لم تكن قد رأته على تلك الحال من الانفعال من قبل..."³، فزوج راشيل كان يسلط عنفه على الفتاة المسلمة ربما، وأيضاً في المقطع الآتي: "... حاولت أن تصمّ أذنيها عن صوته القبيح، لكنه كان يتسلل إلى عقلها ويملاً رأسها حتى كادت تنفجر.

لم تكن أول مرة يضربها فيها. فقد كان يتحين الفرص ليؤذيها. و طالما لم يتمكن من بلوغ مبتغاه منها، فإن متنفسه كان الضرب و الشتم. حتى حين تكون راشيل في المتزل، فإنه لا يعدم لحظات تغفل فيها زوجته عنه، فتمتد أطرافه إليها بالصفعات والركلات لأتفه الأسباب أو دون أسباب تُذكر! لكنها لم تكن تشكو أو تتأوه أمامه. دائماً تبدو في نفس الصلابة والاعتداد بالنفس،

¹ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص 115.

² - محمد محفوظ : إشكالية الأنا والآخر في الفكر العربي- الموسوعة الإسلامية، 2017/04/13.

³ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص 86.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

وذلك أكثر ما يغيظه...¹، إن الآخر اليهودي حاول بكل الأساليب أن ينقص من مكانة وعزيمة الأنا المسلم بالشتم والسب و الاعتداء في كل وقت، إذ أن الفتاة الصغيرة لم تجد من يوسسها و يقف إلى جانبها فهي فقدت الأمان و الحنان الذي كان يحيط بها، فكل ما كانت تريده هو العودة إلى بابا يعقوب "... وهي تردد بصوت ضعيف يقطع نياط القلوب: أريد بابا يعقوب... خذيني إلى بابا يعقوب... أرجوك!"². فالأنا المسلم في هذه الحالة يعيش في حالة ضعف وانهايار فلم يعد يشعر بالأمان الذي آلفه و أصبح يعيش في متاهة لا يعرف من أين المخرج أو في من يضع ثقته.

فكره المسلمين لم يقتصر في الرواية على زوج راشيل فقط إذ نجد سونيا أيضا التي لا تحمل أدنى مشاعر ألفة لهم و ما زاد كرهاها عندما اعتنقت ابنتها (ندى) الإسلام، هذا الأخير كاد يسبب للآخر اليهودي صدمة تؤدي بحياتها "... قبل أن تقول سونيا بلهجة يشوبها الشك: أعيدي ما قلت!

استدارت ندى لتواجهها بنظرات ثاقبة. استعدت جيدا لهذا الموقف: لم أعد يهودية يا أمي... أصبحت مسلمة!

صفعتها سونيا على وجهها بشدة، ثم انهارت على الكرسي وقد شلتها الصدمة: ماذا تقولين؟ هذا غير معقول... هذا غير معقول!...³، ردت فعل سونيا عندما سمعت بما فعلته ندى تدل على حقد الآخر اليهودي على الأنا المسلم.

إن رواية خولة حمدي في 'قلبي أنثى عبرية' مبنية على التناقضات بين الآخر اليهودي و الأنا المسلم، فنجد الآخر اليهودي لا يمكنه الاستغناء على الأنا المسلم إذاً هو دائماً بالحاجة إليه.

2- نظرة الأنا المسلم للآخر اليهودي:

إن الروائية خولة حمدي في روايتها ' في قلبي أنثى عبرية' رسمت لنا صورة الأنا للآخر اليهودي منذ مطلع الرواية حتى نهايتها، فقد بدأت روايتها بالنظرة السلبية التي حملتها زوجة

¹ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص94.

² - المصدر نفسه، ص95.

³ - المصدر نفسه ، ص 232.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

جاكوب للفتاة المسلمة (ربما) التي ترعرعت في أحضان العائلة اليهودية رغم كل ذلك الحقد والكره للمسلمين، وهذا الكره والحقد كان راسخ في أذهان جميع اليهوديين جراء العداء والصراع القائم بين الديانات منذ القرون القديمة "...وتولد علاقة وحشية و انعدام دفاء بين الذات الغربية و أواخرها"¹، إلا أن كل هذا الحقد لم يمنع هذه الفتاة المسلمة من التواجد داخل هذه العائلة اليهودية "... نشأت ربما بين أحضان عائلة جاكوب اليهودية وهم يعتبرونها فرداً منهم. فقد كانت بهجة البيت..."²، فالأنا المسلم جعل له مكانة خاصة داخل أوساط الآخر اليهودي، فتانيا كانت تنظر إلى ربما نظرة سلبية، إذ وافقت على وجودها داخل المنزل فقط من أجل زوجها جاكوب لأنه كان شديد التعلق بالفتاة ربما فبالنسبة لتانيا كانت ربما توثير مخاوفها يوماً بعد يوم وخاصة بعد ما قررت ربما ارتداء الحجاب الشرعي "... وقفت تانيا في عصبية متزايدة وأخذت تصرخ: حقها؟ عن أي حق تتحدث؟ تعلم أن باسكال وسارا لا يزالان صغيرين، وقد بدأت تصرفاتها المختلفة تثير الكثير من التساؤلات لديهما... حول الصلاة التي تؤديها مرات عديدة في اليوم الواحد، وذهابها إلى المسجد يوم الجمعة... والكتاب الذي تقرأ فيه باستمرار... وأنا أحاول في كل مرة أن أجد تفسيرات معقولة ومقنعة للطفلين دون أن أدخل شكوكا عقائدية لديهما، و الآن ماذا؟ الحجاب مرة واحدة؟! كيف يمكنني أن أتعامل مع هذا؟ إن الأمر وصل إلى حد لم يعد مقبولاً... و عليك أن تتصرف!!"³، نظرة الآخر في هذا المقطع للأنا قد تحولت إلى نظرة خوف من مستقبل العائلة بعد أن أصبحت ربما تمارس عاداتها الدينية. "... تباين الصيغ الأسلوبية لم يكذب يفرز على مستوى الثوابت الموضوعية، إلا صورة مركزية وأساسية عن 'المورو' من حيث هو عنصر أجنبي،

¹ - السيد عمر، الأنا والآخر من منظور قرآني، ص30.

² - حولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص13.

³ - المصدر نفسه ، ص 38.

الفصل الأول : _____ تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

وسيزلل مهمما صدر عنه من أفعال إيجابية، إنه 'الآخر' الغريب عن الذات هو الأسطورة المبهمة الرهيبة القابعة هناك في أعماق اللاشعور الجماعي"¹

وعليه فالآخر المسلم بالنسبة لليهودي يظل وبالرغم من كل محاولته في أن يصبح فرداً منه عنصراً أجنبي غير مُرحباً به وهذا ما تمثل في الرواية إذ أصبحت ربما تمثل وصمة عار بالنسبة لتانيا "...حدّجت تانيا بنظرة مترعجة. فقد كانت تتحرّج على الدوام من الخروج مع ربما. يكفي أنّها مسلمة . وهي لا تريد أن يعتقد البعض أنّها تنتمي إلى عائلتها..."². تانيا لم تعد تشعر بالراحة بوجود الفتاة المسلمة في منزلها فلم يكون لها سوى أن تخير زوجها جاكوب بين حبه وعطفه على الفتاة المسلمة وحبه لعائلته، وهذا ما يمثله المقطع الآتي:

"...جاكوب، كيف حالك؟

- دافيد! رأيت ما الذي فعلته بي أختك؟

-اهدأ أرجوك... أنا أتصل من طرفها...

هتف جاكوب في انفعال:

-تانيا جُنّت! كيف تترك المنزل هكذا؟ أخبرها بأن ترجع حالا...وسنجد حلا!...هناك حل

واحد...

قال جاكوب في حزم وقد أدرك ما يرمي إليه:

-وهو غير وارد بالنسبة إليّ!

-الفتاة المسلمة يجب أن تغادر المنزل حتى تعود تانيا..."³، فحقد تانيا على ربما جعلها

تتخلص منها بإرسالها إلى منزل راشيل أخت جاكوب.

¹-محمد أنفار : بناء الصورة في الرواية الاستعمارية، صورة المغرب في الرواية الإسبانية، ط1، مكتبة الإدريسي للنشر والتوزيع، يناير 1994، ص104.

²- خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص 55 .

³- المصدر نفسه ، ص 61-62.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

إلا أنه نجد أن نظرة الآخر قد اختلفت بالنسبة للأنثى فندى قد وقعت في حب رجل مسلم (أحمد) بالرغم من كل الاختلافات الدينية والعقائدية، فهي لم تتأثر بكره أمها للمسلمين وحقدها عليهم، فهي كانت فتاة واعية، وذكية تعلم جيداً ما تريده، فوجودها داخل مجتمع يهودي لم يؤثر عليها ولا على فكرها، حيث نجد المقطع السردي الذي يمثل نظرة سونيا الحاقدة على الأنثى المسلم في قولها "... وما عقيدته؟

- لم نتحدث في ذلك... لكنني أظنه مسلماً!

هتفت سونيا على الفور في هلع:

-مسلّم؟! لن أزوج ابنتي من مسلم! أنا أرفض هذه المصاهرة!!

-نسأل ندى أولاً..."¹، إلا أن ندى لم ترفض هذه العلاقة فهي أعجبت بشخص أحمد و شجاعته ومقاومته، وكانت ترى فيه الرجل المناسب لها، فبعد خطبتها من أحمد صارت تشك في عقيدتها ودينها، إذ أنها أصبحت تشارك ربما في دروسها الدينية التي كان يقدمها أحمد وهذا ما زاد حبها إلى التعرف على الدين الإسلامي"... كلما تقدّمت ندى في القراءة، ازدادت تعلّقاً، ليس بالكتاب، بل بشخص الرسول (صلى الله عليه وسلم). كم من مقطع كررت تلاوته و عينيها تفيض بالدمع، كم من مقاطع أخرى أشعرتها بانسراح عجيب، و ملأت يومها نورا قدسياً مبهجاً. لقد كان رجلاً عظيماً... تذكرت كلمات قالها أحمد في أحد النقاشات: "إني أريد أن أعيش على خُطى الحبيب، محمد(صلى الله عليه وسلم)، فمن قدوتك أنت؟"²، فحب ندى للاطلاع على الدين الإسلامي جعلها تعرف مدى تكريم الله للمسلمين، فقد أصبحت تعاني مكان يعاني منه المسلمين من قسوة و اضطهاد، فأما التي كانت صديقتها وحببتها لم تصدق إسلامها فصدمت عندما سمعتها تقول: "...أنا مسلمة!

¹ - حولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص 65.

² - المصدر نفسه ، ص 136-137.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

انزلت الصحون الفارغة من بين يدي سونيا التي وقفت مبهوتة، وقد اتسعت عيناها عن آخرهما، لتتحول إلى شظايا صغيرة على الأرضية المبلطة، محدثة طرقة عنيفة... قبل أن تقول سوني بلهجة يشوبها الشك:

-أعيدي ما قلت!

-لم أعد يهودية يا أمي... أصبحت مسلمة!¹، فلحظة إعلانها للإسلام أصبحت منبوذة من أهلها وأصبحوا ينظرون إليها نظرة شفقة "...أخي في الله أحمد

لم أكن أعتقد أن الفترة التي تلي إشهار إسلامي ستكون بمثل هذه القسوة. إحساس فظيع بالوحدة والاكنتاب. ضغط شديد كل يوم. أعصابي لم تعد تتحمل تضرعات أمي، و محاولاتها المستميتة لتجعلني أعدل عن رأيي وأرجع قراري. صرت ألزم غرفتي، لا أكاد أغادرها إلا لقضاء حاجة عاجلة، حتى أتجنب لقاءها. أملاً أوقاتي بالدعاء وقراءة القرآن. لا أنكر أنني أضعف في بعض الأحيان... لكن الإيمان يغلب في قلبي فأستعيد ثباتي...²، سونيا لم تتحمل عصيان ابنتها ندى والخروج عن الطريق الذي رسمته لها، وكذلك دانا أخت ندى كانت لا تحب المسلمين، وكانت رافضة لإسلام ندى، إلا أنه بعد ذلك أيقنت أنه لا خيار أمامها سوى أن تتقبل الموضوع "... يبدو أنها تقبلت إسلام أشقائها لأنه لا تأثير لها عليهم، كما تقبلت دانا إسلامي"³. فسونيا بعد كل محاولتها أصبحت مقتنعة هي الأخرى بإسلام ندى تقول الروائية خولة حمدي: "...أدركت ندى مبكراً أن والدتها باتت مقتنعة بالإسلام، أدركت ذلك بقلبها ومن خلال نظرات سونيا الشفافة التي تفضح أمرها. لكنها لم تكن ترضى ترضى بالتنازل بسهولة..."⁴. كما أن الآخر لا يشكل الشر المطلق، فهو يتضمن العلم والتطور التقني و التكنولوجيا، وثورة المعلومات و الاتصالات والإبداع الإنساني، فيما يرتبط بالإدارة و السياسة و العلوم الطبيعية، كما يتضمن الاستعمار

¹ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص 231-232.

² - المصدر نفسه، ص 233.

³ - المصدر نفسه، ص 234.

⁴ - المصدر نفسه، ص 307.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

والاستغلال وتدمير الآخرين والحروب و المؤامرات و ما أشبه...¹ . حيث نجد أن ميشال و زوجته ماريا وجورج قد كانوا أكثر انفتاح على تقبل المسلمين، وتقديم المساعدة لهم، إذ أن جورج تقبل إسلام ندى هو وميشال ولم يكن أي اعتراض على قرارها "... مسلمة... وما الضرر في ذلك؟ أنت ستظلين ابنتي على أية حال. و أنا سأساندك طالما تدينين بديانة توحيدية... لو كنت تحولت إلى الإلحاد أو الوثنية أو تعدد الآلهة لما تركتك على ضلالك... فالله يغفر كل شيء ما عدا الشرك به يا ابنتي!"²، فجورج بالرغم من أنه زوج أم ندى إلا أنه لم يتركها وساندها في رحلتها ودينها الجديد. فندى منذ دخولها للإسلام كانت تحاول جاهدة نشر الإسلام، وتغيير نظرة الآخر له، ففي فترة إقامتها فب تونس عند عائلة جاكوب غيرت تلك النظرة السيئة عن المسلمين، والإسلام لدى كل من سارا وأبوها جاكوب، إذ تسرد خولة حمدي ما حصل مع سارا تقول:
"أخي في الله أحمد"

لا يمكنني تصديق ما حصل اليوم. سارا الصغيرة جاءت إلى غرفتي و أعلنت إسلامها! لم تكن مترددة أو خائفة، بل واثقة من قرارها. لكنها تتوجس خيفة من ردة فعل والدتها. ذكرتني بنفسني منذ زمن غير بعيد. ستضطر إلى إخفاء إسلامها لبعض الوقت... لا يمكنك أن تتصور كم أنا سعيدة اليوم. ظننت أن سعادي بإسلامي لا يمكن أن تضاهيها سعادة أخرى. لكنني اكتشفت اليوم معنى السعادة بنجاح شخص آخر من النار..."³، فسارا بالرغم من صغر سنها إلا أنها ذكية و متفهمة كثيراً، فقد كانت لها صورة سيئة عن الإسلام تلك الصورة التي رسمتها أمها في ذهنها، إلا أنها قد غيرت تلك النظرة بتعرفها على ندى وتطلعها على الدين الإسلامي. "من بين الأديان كلها، لم يقض على عبادة الأوثان دين من الأديان إلا دين الإسلام"⁴. فبالرغم من صمود اليهود إلا أن الإسلام غير تلك النظرة وأصبحوا يدخلون في دين الله واحداً تلوى الآخر وهذا ما يظهر

¹ - محمد محفوظ، إشكالية الأنا والآخر في الفكر العربية، 2017/9/13.

² - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص 232.

³ - المصدر نفسه ، ص 283.

⁴ - علي الجوهرري: المناظرة الأولى: أول لقاء يجمع بين النصارى والمسلمين، د. ط، مكتبة التراث الإسلامي، د.ت، ص 59.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

جليا في الرواية، إذ نجد جاكوب ذلك الرجل الذي لطالما كان يكره المسلمين وكانت له تلك الصورة السيئة على الإسلام وعن تعاليم الدين الإسلامي، فبعد إسلام ابنته سارا قرر أن يتعمق في فهم هذا الدين و البحث في جوهره، فوجد أنه دين الله، دين الحق، دين المحبة والتسامح، وهذا ما أدى إلى إسلامه هو أيضا تقول الروائية: "...ابتسم في سخرية. هل كان ينتظر معجزة؟ ومن يكون هو حتى يبعث الله إليه بإشارة خاصة؟ غص على شفثيه في يأس، وقاوم الدموع التي تكاد تظل من عتبات عينيه. تناول كتاب القرآن الذي وضعه إلى جانبه. تنهد وهو يهيم بإخفائه في المكان المعتاد. لكن قبل أن تنصرف، أحس برغبة مفاجأة بالقراءة فيه للمرة الأخيرة...فتح الكتاب بصفة عشوائية، وقرأ الآيات الأولى في الصفحة:

{أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ* أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ* بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَ كُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ }

صعق وهو يعيد قراءة الآيات مرة أخرى، ثم لمرات أخرى. ومرة إثر مرة تزايد إحساسه بأنها تخاطبه هو دون غيره. هو الذي كان ينتظر آية من الله ليهديه... انهار على الأرض وقد ذهبته قواه. لا يا الله، لا أريد أن أكون ممن يندمون بعد فوات الأوان. لا أريد أن أتحسر على تضييعي لهذه الفرصة للنجاة. اللهم إني أشهد أن لا إله غيرك، وأن محمدا عبدا ورسولك... وترك العنان لدموعه، تغسل ما مضى من ذنوبه¹، جاكوب بعد ما كانت له تلك النظرة السلبية على المسلمين، أصبح وبعد تعلقه بالإسلام مسلماً وتغيرت تلك النظرة إلا أن زوجته لم تتمكن في بداية الأمر من تقبل إسلام كل من زوجها وابنتها، وقررت أن تغادر المنزل إلا أنها فلم تستطع التخلي عن عائلتها وأصبحت بعد مرور فترة من الزمن هي أيضا مسلمة، فلم تستطع أن تتحمل مسؤولية شتات و تدمير عائلتها وهذا ما يمثله المقطع السردى الآتي: "... بعد أشهر من العذاب والتمزق، عادت المفاوضات بينهما من جديد، ورضيت تانيا بفتح باب النقاش...عادت إذن إلى بيتها ووافقت على بعض التنازلات لحماية مستقبل العائلة وتجنب الشتات النهائي. كان وضعها غريبا

¹ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص306-307.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

وغير مريح. صاروا مثل صديقين يعيشان تحت سقف واحد، ويحاول كل منهما فهم الآخر وإقناعه بوجهة نظره. لم يدر أحدكم يمكن أن تدوم تلك الهدنة وعلام ستسفر... فقد كان وقع الخبر عنيفا حين أعلنت تانيا إسلامها أخيرا. نعم إنهم يسلمون المعجزة تحصل، اليهود يدخلون الإسلام! يهود آخرون أسلموا في وقت سابق، لكنهم ينتمون إلى فئة غير متدينة أو ملتزمة. رجال أسلموا شكليا ليتزوجوا من حبيباتهم، و نساء أسلمن لرفضهن المغادرة إلى إسرائيل... لكن إسلام عن اقتناع؟...¹، تانيا وبعد كل محاولاتها ورفضها للإسلام إلا أنها قد تغيرت تلك الصورة السلبية التي كانت قد كونتها ضد الأنا المسلم والمسلمين و أصبحت في الأخير واحدة من المسلمين.

{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ سَتَعْفِرُ عَنْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3) } سورة النصر، الآيات 1-3.

إن نظرة الأنا المسلم بالنسبة للآخر اليهودي في الرواية تتغير بتغير الأحداث، وتغير المواقف والأشخاص، حيث كانت في بداية الرواية نظرة كلها سلبية لا مجال للنقاش فيها، وبفضل الانفتاح و التحوار مع الآخر أصبحت النظرة أكثر حب و إيجاب.

إذ نجد أن الروائية خولة حمدي في روايتها ' في قلبي أنثى عبرية' قد كانت تتحيز كثيراً للأنا المسلم، وقد وضفت العديد من الآيات القرآنية كدليل على صحة توجهها، فالأنا المسلم بالرغم من كل الرفض الذي واجهه استطاع أن يثبت وجوده في ظل التنافس والصراع القائم بينها وبين الآخر اليهودي، فالروائية تمكنت من دمج الأحداث بأسلوب شيق يجعل القارئ يعيش الأحداث بكل تفاصيلها السياسية والدينية، وكذلك النفسية والاجتماعية لشخصيات الرواية.

3- نظرة الآخر اليهودي للأنا المسلم:

إن نظرة الآخر اليهودي للأنا المسلمة، كانت أغلبها نظرة حقد، بغض ورفض، إذ أن الآخر اليهودي كان ينظر لنفسه أنه هو شعب الله المختار، لقوله تعالى: { وَ قَالَتُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ

¹ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص 308.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

أَبْنَاءُ وَاللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ... (18) { سورة المائدة، الآية 18.

فقد طرحت خولة حمدي بين ثنايا روايتها هذه النظرة، إذ تتباين نظرة الآخر اليهودي للأنا المسلمة حسب تسلسل الأحداث، ففي بداية الرواية صورت لنا نظرة عائلة جاكوب اليهودية للفنأة المسلمة ربما اليتيمة التي ترعرعت في كفل عائلتهم على احترام دينهم، وهم بدورهم يحترمون دينها. إلا أن هذه النظرة تغيرت عندما أصبحت تمارس تعاليم دينها، فجاكوب كان يحب الفتاة المسلمة ربما كثيراً " رفعت إليه عينين مليئتين بالدموع وهتفت في تأثر: أنا أحبك كثيراً

تسارعت نبضاته أمام اعترافها البريء الذي اخترق قلبه وزلزل كيانه... وضمها إلى صدره في حنان وهو يتمتم بصوت متقطع: وأنا أيضاً... أحبك... جداً"¹، جاكوب كان شديد الحب لربما المسلمة وربما بدورها كانت تحب جاكوب وتخاف من خسارته إذ أخبرته بأنها تريد أن يهتدي إلى طريق الله حتى لا يدخل النار، إذ تقول الروائية في روايتها: " الشيخ يقول إن من لا يؤمن بدين الإسلام يذهب إلى النار... وأنا أحبك كثيراً ولا أريدك أن تذهب إلى النار.

- ولكن يا صغيرتي... ألم نتفق أن لك دينك... ولي ديني، ونحن نؤمن بإله واحد؟

أومأت برأسها موافقة، ثم هتفت مُستدركة:

-ولكن الين عند الله الإسلام!

عبس جاكوب في انزعاج وهو يقول:

-من الذي قال لك ذلك؟ هل هو الشيخ؟ لا شك أنه رجل متعصب...ربما من الأفضل أن

تنقطعي عن دروسه، ونبحث عن شيخ آخر أكثر انفتاحاً على الديانات الأخرى.

لكن ربما أطرقت في هدوء، وقالت في حزن:

¹ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص 17.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

-بل القرآن هو الذي يقول ذلك...¹، فانصرف جاكوب وعدم تعليقه على كلام ريما دليل على النظرة العدائية للإسلام، وهذا أيضا ما هو واضح في عبارته " لا شك أنه رجل متعصب" فنبرته دالة على العدا، إلا أن حب ريما الفتاة المسلمة لجاكوب اليهودي جعلها تفكر في أن تخلصه من عذاب النار، لكن جاكوب كان شديد التمسك بدينه، بالرغم من أن دعوة ريما له كانت دعوة صريحة لدين الحق، لقوله تعالى:

{أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ بِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(125)} سورة النحل، الآية 125.

وفي مشاهد أخرى لجاكوب تمثل خولة حمدي بقولها: "نهض جاكوب من فوره ولم يعلق... لكنه أدرك أن ريما دخلت مرحلة جديدة في تعاملها مع دينها، مرحلة النقاش ومحاولات الإقناع، وهو لم يتجهز لمواجهة هذه المرحلة بعد"². فعبارة " لم يتجهز لمواجهة هذه المرحلة" دليل على عدم قبول الآخر اليهودي، المحاوره والنقاش مع الأنا المسلم في مجال الدين. فالآخر اليهودي استخدم كل الأساليب والأدوات للسيطرة على الأنا، وهذا ما فعلته (سونيا) عندما انتقلت (ريما) للعيش عندهم بقولها: " هو عرض واحد وليس لديّ غيره! إن كانت تريد البقاء فعلها أن تعمل في تنظيف البيت والمطبخ... وجميع الأعمال المنزلية. وفي المقابل، نؤويها ونطعمها من طعامنا"³، فهذه محاولة من (سونيا) لإلغاء وجود الأنا المسلم، وسلب كل قوتها "...اغسلي أكوام الصحون في المطبخ، وأعدّي العشاء... وحين تنتهين من ذلك قومي بكي الملابس النظيفة، وأعيدي طيّ الحاجيات في خزانتي وخزانة ندى، فقد عمّتها الفوضى..."⁴، فكل الأعمال التي طلبت سونيا من ريما القيام بها تحتوي على فعل الأمر وليس على الأنا المسلم إلا أن تخضع لأوامر الآخر اليهودي. "...وإذ عجز الوثنيون عن الجدل والدفاع عن عقائدهم الوثنية بالحوار تحولوا إلى ممارسة الضغوط

¹ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص18.

² - المصدر نفسه ، ص 18.

³ - المصدر نفسه، ص 143.

⁴ - المصدر نفسه، ص 143.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

الاجتماعية والاقتصادية ضد جماعة المسلمين الأوائل المحدودة العدد، كما أنهم لجأوا إلى انزال العقوبات البدنية على المستضعفين من المسلمين"¹، فاليهود قد سلطوا العذاب بكل أنواعه على المسلمين.

ومع تطور الأحداث في الرواية وتعرف كل من الشابين المسلمين (أحمد) و(حسان) على الفتاة اليهودية (ندى)، وتقديم يد المساعدة لهم رفقة أخيها (ميشال) "... حين فُتِحَ الباب مُجدِّداً وظهرت الفتاة مبتسمة. نظر إليها حسان في تحفّز، وتشنّجت أطرافه حين لمح الرجل الذي يتقدم من ورائها. لكنها سارعت بالتوضيع قائلة وهي تفسح المجال للرجل:

-لقد طلبت المساعدة من أخي... يمكنه أن يعاين جرح المصاب...

حدّق حسان بعدم استيعاب في الرجل الذي ارتدى زيّ راهب كنيسة، وصليباً من الحجم الكبير يتدلّى من عنقه. كان في الأمر خللاً ما... في البداية فتاة يهودية تُدخلهم بيتها، ثم تستعين براهب مسيحي لعلاج الجرح، وتقول بأنه أخوها!!"²، فحسان وأحمد لطالما كانت لهما تلك النظرة العدائية لليهود بسبب الجرائم الصهيونية، والسلب والنهب الذي مارسها على رجال المقاومة، كل هذا ساهم في تكوين صورة سلبية عن الآخر اليهودي الصهيوني.

ولكن لقاءهما بندى الفتاة اليهودية ذات الأخلاق الكريمة ومعاملتها الحسنة معهم جعلتهما يغيّران نظرتهما للآخر.

" — لحظة من فضلك...

توقفت ندى و التفتت إليه في اهتمام

- أنستي ... أنت يهودية، أليس كذلك؟

نظرت ندى على الفور إلى نجمة داود التي كشفت أمرها منذ البداية، ولم تعلق.

-إذن... لماذا تساعدينا؟

¹ - علي الجوهرى، المناصرة الأولى: أول لقاء يجمع بين النصارى والمسلمين، ص56.

² - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص24.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

رفعت عينها في انزعاج وهتفت:

-وما شأن ديانتي بالعمل الإنساني؟ ألا يبحث دينك على الرحمة والرأفة وتقديم يد المساعدة

إلى من يحتاجها، مهما كان انتماؤه وعقيدته؟ أليست تلك رسالة جميع الأديان السماوية؟

ارتبك أحمد وقد أدهشه ردّها، وخفض رأسه في خجل من نفسه. فتاة يهودية تُلقنه درساً

في الأخلاق!! لم يملك إلا أن يتمتم في اعتذار:

-أنا آسف... لم أقصد الإهانة..

استطردت ندى على عدم اكتراث:

- لا عليك... فما يحصل حولنا يُنسينا أننا نعبد إلهاً واحداً... وإن اختلفت التفاصيل

والملابسات.¹ ندى و بالرغم من اختلاف دينها إلا أنها قدمت يد المساعدة للشايين المسلمين."

عندما يكون النظر إلى الآخر من منظور السلوكيات الاستراتيجية، فإنه يصبح طرفاً حاضراً،

مباشراً. الباحث الإيطالي فيكتوريو كوتاستا حدد ثلاث صور للآخر تتناسب و استراتيجيات

التزاع : الأولى سلبية، يبدو فيها الآخر خطراً على المجتمع وثقافته، وتناسبها استراتيجية الرفض

والطرد، وأما الثانية فأقرب إلى الحيادية المؤقتة، إذ لا يبدو فيها الآخر مقبولاً أو مرفوضاً بقدر ما

يبدو قابلاً لأن يكون هذا أو ذاك، وهذه الصورة تناسبها استراتيجية الاحتواء بالتبعية، وأما الثالثة

فصورة (الأخ) الحامل لقيم إنسانية، والذي يمكن أن يكون اختلافه مصدر ثراء، وهذه الصورة

تناسبها استراتيجية التعاون والمواطنة، هذه الصور الثلاث متداخلة في كل سياق إجتماعي ثقافي،

وكذلك الاستراتيجية التي توظفها لاكتساب شرعيتها².

فندی بأخلاقها وطيبة قلبها جعلت أحمد يغير نظرتة حول اليهود، فقد رأى أحمد في ندى

تلك الفتاة المسلمة بثوب يهودي، ففضلها تغيرت نظرة الآخر اليهودي السلبية بالنسبة للأنما المسلم

¹ - حولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص31.

² - الطاهر لبيب ، الآخر في الثقافة العربية، ص32.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

والتي كانت مبنية على الأيديولوجيات السابقة الراسخة في الفكر القديم فبتطور الفكر والثقافة وبفضل موفق ندى في الرواية أصبحت النظرة إيجابية للآخر اليهودي.

فحب أحمد لندی الفتاة اليهودية و أمله في جعلها فتاة مسلمة، لم يحميه من نظرة و لوم الأنا المسلمة، فوالدته عارضت فكرة ارتباطه وخطبته من هذه الفتاة اليهودية، وصارت تندب حظها و حظ ابنها الذي أحب فتاة يهودية، إذ تصف خولة حمدي حالة والدة أحمد بقولها: "جلست السيدة سعاد في حزن، وهي تمسك منديلا بيدها اليسرى تلوح به في أسى، في حين لم تتوقف كفها اليمنى عن اللطم تارة على فخذها، وتارة أخرى على صدرها، وهي تتم في حرقه:

-آخ يا أحمد...آخ! يهودية؟! يا بني... ماذا فعلت لك حتى تختارها يهودية؟! آخ يا قلبي... آخ! ماذا فعلت في حياتي حتى أعاقب بهذا الشكل؟ آخ!¹، فسعاد لم تكون ترغب بهذه العلاقة في البداية فكون الفتاة يهودية يبني الكثير من العوائق و الحواجز بين الأنا المسلم و الجماعات المسلمة الأخرى.

فقائد الكتبية في جبهة المقاومة وأصدقاء أحمد لم يستحينا الفكرة، وحاولوا أن يجعلوه يغير قرار خطبته "...نظر إليه القائد مليا ثم قال بلهجة أبوية حانية:

-مبارك عليك الخطبة يا بني!

ارتبك أحمد للحظات، فهو لم يتوقع أن يحدثه القائد في ذلك. تتم بعد تردد قصير:

-بارك الله فيك... لكن التهنئة سابقة لأوانها، لأنني لم أحصل على الموافقة بعد...

سكت القائد لثوان، ثم تابع في هدوء:

-سمعت أن الفتاة... يهودية!

تصاعد الدم إلى رأس أحمد، واحمرّ وجهه بشدة. لا يريد أن يبرر تصرفاته أمام أحد. لكنه

القائد!

¹ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص80.

الفصل الأول : ————— تمثلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

-إنها كتابية يا سيدي!"¹. فالقائد و أصدقائه لم يتقبلوا الفكرة لأن الفتاة تنتمي إلى طائفة عدوهم في الحرب إذ جاء على لسان القائد: " وهل تعلم من نقاتل في أراضي الجنوب؟
-الصهاينة الإسرائيلين، سيدي!"². فقد كانت لهم نظرة سلبية راسخة في أذهانهم على الآخر اليهودي. "وقد وجدنا من يدعو إلى نفي الغرب من حياتنا، و يرى الهوية العربية نقيض للآخر! وبذلك يبدو خائفا متحصنا بها، خاصة حين يواجهه خطر خارجي، فتضييق نظرتة، وبلجأ دفاعاً عن هويته إلى وضع الآخر في صورة نمطية، فغالبا ما تصب 'الأنا' العربية 'الآخر' الغربي، سواء أكان منتمياً إلى الحكومة أم للشعب في قالب العدو، الذي يعمل على مسح هوية الذات ، واقتلاع خصوصيتها.

إن مثل هذه الصورة النمطية لم تتكون بتأثير العدوان الذي تعرضت له 'الأنا' اليوم، بل بتأثير حروب الماضي أيضاً، مما أنتج سوء تفاهم، يكاد يكون موروثاً، لذلك مازالت آثاره تنغص العلاقة بيننا وبين الآخر"³. فالصورة النمطية هذه جعلت الأنا المسلمة لا تتقبل الآخر اليهودي بين جمعتهما.

وبعد ما تمت خطبة أحمد وندى وتعرف عائلة أحمد و أصدقائه على ندى أحبوا كثيراً، فقد غيرت نظرهم حول كونها فتاة يهودية، فندى قد شاركت رفقة أحمد في جبهة المقاومة ضد الصهاينة، وهذا ما صورته لنا الروائية: "...ابتسم أحمد بدوره، وهو بالكاد يصدق ما حصل أمامه للتو، والتفت إلى ندى متسائلا:

-ماذا قلت لهم؟ وكيف أقنعتهم؟

اتسعت ابتسامتها، وهي تقول في مرح:

-هل نسيت أنني أتكلم لغتهم كما أتكلم لغتكم؟

ثم أضافت وهي تلمح علامات الدهشة على وجه أحمد الذي لم تخطر الفكرة بباله:

¹ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص74.

² - المصدر نفسه، ص74.

³ - ماجدة حمود ، إشكالية الأنا والآخر، ص 17-18.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

أقنعتهم بأننا زوجان يهوديان، يسافران لقضاء نهاية الأسبوع في الريف... وأن سيارتنا معطلة والبتزين يكاد ينفذ منا! ولم أنس أن أعبر عن سعادتي ببقاء أبناء ديانتى الذين أرجو أن يرشدوني إلى أقرب محطة وقود!! هذا كل ما في الأمر!¹. فشجاعة ندى وتصرفها النبيل في هذا الموقف جعل كل رجال المقاومة، وأهل أحمد يغيرون نظرهم لندى.

وبسير الأحداث وتطورها في الرواية تغيرت نظرة الآخر اليهودي للأنا المسلمة تدريجياً، وانفتاح كل منهما على الآخر، وعلى دينته و إيديولوجياته ساهمة في تغير تلك النظرة السلبية.

4- العلاقة بين الأنا والآخر:

استطاع الباحثون إبراز طبيعة العلاقة التي تربط بين الأنا والآخر. بمعنى آخر الذات و الغير، وذلك باقتراحهم مجموعة من المبادئ التي تقوم عليها هذه العلاقة وذلك بتصريحهم أن " العلاقة لا بد أن تؤسس على الحوار و البناء والتفاهم و المودة، إلا أنهم تواصلوا إلى أن هذه العلاقة قد تكون على نقيض من ذلك"².

بدأت أحداث الرواية في جنوب تونس بقصة الفتاة الصغيرة المسلمة (ريما) التي تربت على أيدي أسرة يهودية، إلا أن اختلاف الديانات لم يكن عائقاً أمام هذا الحب الأبوي الذي نشأ بين (ريما) و اليهودي (جاكوب)، وما إن كبرت حتى أصبحت تطبق تعاليم دينها الإسلامي وهنا أصبحت زوجة جاكوب ترفض وجودها في البيت خوفاً على صغيرها من أن يتأثراً بها، وهذا ما يبرز الصراع فاختار الزوج أن يرسلها إلى أخته في لبنان³، وقد وضحت الروائية ذلك في الحوار الذي دار بين جاكوب وزوجته " -هل يمكنك أن تفسر لي ما الذي تفعله ريما؟ ارتبك جاكوب الذي لم يكن يدري كيف عليه أن يعالج الموقف وقال:
-يبدو لي أنها قررت ارتداء الحجاب الإسلامي... وذلك حقها...

¹ - حولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، 185-186.

² - عيسى فوزي : صورة الآخر في الشعر العربي، د. ط، مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين، الكويت، 2011، ص5.

³ - ينظر: أنور الموسى: في قلبي أنثى عبرية، دراسة في ثنائية الأنا والآخر في الرواية، www.ishkaliat.fikria.com.

2017/01/20 ، 2021/02/21 ، 16:14.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

وقفت تانيا في عصبية متزايدة وأخذت تصرخ:

-حقها؟ عن أي حق تتحدث تعلم باسكال و سارا لا يزلان صغيران... وأنا أحاول كل مرة أن أجد تفسيرات معقولة و مقنعة للطفلين دون أن أدخل شكوكا عقائدية لـديهما...¹، ثم تتوالى الأحداث و تأخذنا إلى بلدة فانا المحتلة، حين تقوم (ندى) الفتاة اليهودية بإيواء جريح مسلم (أحمد) وصديقه (حسان) في مستودع منزلها، و(ميشال) المسيحي يقوم بتنظيف جروحه "خرجت ندى من المستودع، فتابعها حسان بنظراتهفي استغراب متزايد... إنها يهودية! لا شك في ذلك، ولكنها استقبلتهما دون تردد، وهي بالتأكيد تدرك إلى أي جبهة ينتميان..."²، "بدت الدهشة على حسان وهو يراقب عمل الراهب الدقيق و الهادئ، عاين ميشال الجرح في اهتمام، ثم بدا على وجهه الانزعاج..."³، إن اختلاف الديانات لم يمنعهما على العمال الإنساني و قيامهما بالمساعدة دون تفكير، وجاء ذلك في الرواية " وما شأن ديانتي بالعمل الإنساني؟ ألا يثبثك دينك على الرحمة والرأفة و تقديم يد المساعدة إلى من يحتاجها، مهما كان انتماؤه و عقيدته؟ أليس تلك رسالة جميع الأديان السماوية؟"⁴، ثم تعددت العلاقات حتى نشأة علاقة حب بين (ندى) و (أحمد) فمناذ "وجود الانسانية نشأت حاجة المرأة للرجل مهما كانت هذه الحاجة المتبادلة إنما هي مضادة للفطرة الانسانية"⁵، و تنتهي هذه العلاقة بخطوبة رغم عدم رضا الأهل و معارضتهم لهذه العلاقة لأن (أحمد) كان هدفه دعويًا حيث أراد أن يدخل (ندى) في الإسلام لأنه يراها "مسلمة أكثر من كثير من المسلمين، أفكارها، حشمتها، حياؤها، كلها تجعل منها تربة خصبة لزراع بذرة الإسلام"⁶، أما عن أم أحمد فقد استقبلت خبر خطبة ابنها ليهودية بالعويل واللطم "...في حين لم تتوقف كفها اليمنى عن اللطم تارة على فخذها، و تارة أخرى على صدرها، وهي تتمم في حرقة:

¹ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص 38.

² - المصدر نفسه، ص 23.

³ - المصدر نفسه، ص 24.

⁴ - المصدر نفسه، ص 31.

⁵ - محمد جلاء ادريس : الأنا والآخر في الأدب الانثوي، مكتبة الآداب، القاهرة، 2003، ص 133.

⁶ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص 47-48.

الفصل الأول : ————— تمثلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

-آخ يا أحمد...آخ! يهودية؟! يا بني... ماذا فعلت لك حتى تختارها يهودية؟! آخ يا قلبي...آخ! ماذا فعلت حتى أعاقب بهذا الشكل؟ آخ!¹، لكن أحمد خالف أمر والدته وعدم رضاها على ندى مع أنه أكثر الأبناء براً بوالديه، ثم أصبحت ندى تساعده في تضليل العدو حين كان أحمد يخبئ الذخيرة في سيارته متعللة بأنها بائعة أقمشة ليتركوهم يمرّوا دون تفتيش "...محاولة اختراق القماش الخشن الذي صنعت منه والاطلاع على ما في داخلها. تابعت أحمد وهو يفتح صندوق السيارة ويلقي بها داخله...صوت قطع معدنية احتكت ببعضها داخل الحقيبة..."².

ومع اختفاء أحمد و انسحاب الاحتلال الاسرائيلي من جنوب لبنان بدأت رحلة (ندى) في البحث عن ذاتها الحقيقية فتغادر إلى فرنسا للدراسة ثم تعود إلى لبنان وتعلن إسلامها وتبدأ بإقناع الجميع بدينها الجديد تقول ندى: " منذ زمن قصير، كنت يهودية مثلكم، وكنت أتساءل إن كان المسلمون يكرهون اليهود...لكنني حينها كنت أجهل كل شيء عن الإسلام، عدا ما تنقله شاشات التلفزة من معلومات مشوهة، هدفها تذكية العداء القائم بين أبناء الديانتين. اكتشفت فيما بعد أن الإسلام ليس ممثلاً في آراء وتصرفات من يقولون إنهم يتحدثون باسمه..."³.

يبدأ صراع بين الأم وابنتها (ندى) لكن (ميشال) المسيحي كان يدافع عنها ويحميها من أمها إلا أنه لم يقتنع يوماً بقرارها بل كان ضده وحاول أن يقنع ندى بالتراجع عنه، فقد كان حكمه على الإسلام من خلال نظرتة للمسلمين وما تعلموه في مجتمعهم فهي تصف العربي المسلم بالضعف والوحشية والهمجية والتعصب الديني، و البدائي البسيط...

وهذا ما جاء به كتاب 'فولتير' الذي أطلق احكاماً عدائية قاسية على الإسلام ولاسيما في كتابه 'محمد والتعصب'⁴، ومن ثمة يظهر لنا أنهم لا ينظرون إلى ما ينص إليه الإسلام وقد ورد في نقاش ندى وميشال في الرواية " ما الذي وجدته عند المسلمين ولم تجديه عند أهائك اليهود؟ ألا

¹ - حولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص 80.

² - المصدر نفسه، ص 181-182.

³ - المصدر نفسه، ص 278.

⁴ - ينظر: محمد راتب الخلاق: نحن و الآخر، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1997، ص19.

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

ترين ما هم عليه من التخلف و التأخر عن بقية الأمم؟ لو كانوا على دين الحق، لكان الله و فقههم و سخر لهم كل الإمكانيات المادية... انظري إلى الشوارع المتسخة... انظري إلى الأخلاق...¹، لكن ندى لم تسكت و دافعت عن الدين الذي تراه الأنسب لها و لجميع الناس رداً على ما قاله ميشال في حق هذا الدين " ميشال، لا تحكم على الإسلام هكذا إلا تنظر إلى ما يفعله المسلمون، بل انظر إلى ما تنص عليه تعاليم الإسلام! أنت تعلم أكثر مني أن الإسلام يقوم على الأخلاق الحميدة... الإسلام بريء من كل هؤلاء: من الكاذب و المرتشي و المحتال و الظالم و المبدر! أنا اخترت الإسلام و جدت فيه ذاتي...²، و رغم كل محاولات أهلها لردها عن الإسلام و تمسك ندى بدينها و وصل بها الحال إلى الطرد من المنزل لخروجها عن دين آبائها " طردتني من البيت و جدت نفسي في الشارع بل مأوى...³، قررت ندى بعد وحدثها أن تسافر إلى أبيها المسلم إلى تونس متأملة من أن يستقبلها و يفتح لها قلبه و بيته لكن كل أملها خاب. بعد أن رفض لقاءها خوفاً من زوجته " ندى صغيرتي... لا يمكنني أن أستقبلك الآن في منزلي، فزوجتي لم تتقبل بعد فكرة قبول ابنتي من زوجتي الأولى للإقامة بيننا... في هذه الأثناء سأعمل جاهداً على إقناع زوجتي باستضافتك، ما ريك؟⁴. غادرت ندى و استقبلها جاكوب في بيته رغبة في لقاء صديقتها لربما و سؤاله عن حياتها التي قضتها بعيدا عنه.

أصبحت سارا ابنة جاكوب قريبة جدا من ندى فكانت تقرأ الكتب الإسلامية مع ندى خفية عن أمها التي تمنعها من الاقتراب بكل ما يخص الإسلام و اصفة إياها بالكتب الخطيرة و ذلك في قولها " ألا ترى أن سارا أصبحت قريبة جداً من ندى؟ إني أخاف عليها من تأثرها!... حتى لا تسمم أذهان أولادنا بأفكارها المنحرفة!"⁵، إن وصف تانيا للكتب بالخطيرة ذلك نتيجة البيئة التي

¹ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص 238.

² - المصدر نفسه ، ص 239.

³ - المصدر نفسه، ص 239.

⁴ - المصدر نفسه، ص 260.

⁵ - المصدر نفسه، ص 271

الفصل الأول : ————— تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

ربتها على كره الإسلام والمسلمين وهذا ناتج عن " الشخصية في نفس الفرد الإنساني، فهي تنمو وتفصح عن قدرتها من خلال البيئة المحيطة، أو الوسط الاجتماعي"¹، وأصبحت سارا تسأل عن الإسلام و تجيبها ندى لتصحيح الأفكار السلبية و المشوهة عن الإسلام التي رسختها تانيا التي كانت تكره الإسلام والمسلمين في ذهن أولادها وجدت سارا الفرصة لتجد أجوبة عن التساؤلات التي تراودها أهمها زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من عائشة وهي في سن السادسة من عمرها "حين تزوج النبي محمد من عائشة، كانت لم تتجاوز السادسة من عمرها...ألا ترين أن في ذلك يعد اعتداء على طفولتها؟ كيف يمكن لشيخ قد تجاوز الخمسين أن يتزوج فتاة صغيرة هكذا...!!"² فأجبتها ندى بما تستحق الإجابة وبعد مدة أعلنت سارا إسلامها، و أصبح جاكوب أيضا يهتم بالإسلام ويقرأ و يسأل عنه كثيراً حتى يعرف سبب إسلام ابنته وهي المعروفة بعقلها الراجح وفي نهاية إقناع بالإسلام وأسلم "... بات مقتنعاً بالإسلام..."³، ثم أسلمت سونيا، وهي يهودية أخرى تدخل الإسلام عن اقتناع ومن ثم أسلمت تانيا.

عاد أحمد بعد غياب طال انتظاره لكنه كان فاقداً للذاكرة منذ أربع سنوات بعد تعرضه إلى حادث كما أنه أصبح مسيحياً "...حين استيقظ من غيبوبته، وجد نفسه في قرية جل سكانها من المسيحيين، علموه دينهم واعتبروه واحداً منهم، فاعتبر نفسه نصرانيا مثلهم..."⁴، بقي أحمد على هذه الحال إلى أن تعرف عليه أحد أصدقائه القدامى في السوق "...ألست أحمد ال (...). طالب كلية الزراعة؟ كنا نقيم في نفس السكن الجامعي..."⁵ شفي أحمد بعد جلسات علاج طويلة المدى وعاد ليتزوج من ندى التي كانت خطيبة حسان صديقه وضحي بحبه من أجلها وأجل صديقه المقرب.

¹ - محمد العابد الجابري: الإسلام والغرب والآخر، الكتاب الأول، سلسلة فكر ونقد الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009، ص 21.

² - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص 272.

³ -المصدر نفسه، ص 305.

⁴ - المصدر نفسه ، ص 310.

⁵ -المصدر نفسه، ص 311.

الفصل الأول : ————— تمثلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

مما سبق نستنتج أن الذات هي التي تحدد طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر إذ هناك من يقول " العلاقة بين الأنا والآخر هي الخيط الناسج للنص الابداعي، فالأحاسيس و المواقف التي تحفل بها الأعمال الأدبية الخالدة تبقى متعلقة في العمق بجدلية الذاتي والغيري"¹.

بمعنى آخر أن العلاقة بين الأنا والآخر في الرواية تقوم على الرفض والعداء في البداية نظراً لظروف عاشها الطرفين ثم تتحول لتصبح علاقة قبول واتصال وتقارب وتجاذب بين الطرفين. فالأنا والآخر مسألة أو قضية أو " إشكالية سردية تختلف باختلاف وجهة نظر الروائي، قد يبرزها بصورة معقدة، وشائكة وقد يظهرها بصورة واضحة خاصة، إذا اقترنت بالآخر وهو العدو بحد ذاته، لتصبح الأنا في موقع صدامي، وصراعي على الدوام معه"².

وبهذا تبرهن الرواية امكانية التعايش بين الديانات إذا التزم الجميع بمبدأ التسامح والتغاضي عن الماضي و الاحتكاك، والتأثير والتأثر المتبادل يطويه صفحات الماضي من جديد من أجل التعايش السلمي.

¹ - الجابري محمد عابد : مسألة الهوية في العروبة والإسلام والغرب، ط4، مركز دراسات الوحدة العربية، ص90.

² - محمد صابر عبيد: جماليات التشكيل الروائي، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012، ص63.

الفصل الأول : _____ تمثيلات الآخر اليهودي في رواية (في قلبي أنثى عبرية)

خلاصة الفصل:

وفي ختام الفصل نخلص إلى أن 'الآخر' تولد عن صراع مع 'الأنا' سواء أكان صراع ديني أو سياسي، مما أدى إلى وجود تحالف وتنافر فيما بينهما، ولا يمنع هذا وجود عوامل قبول بين الطرفين ذلك أن "المرء يولد بمفرده، ويموت بمفرده، ولكنه لا يحيي إلا مع الآخرين و للآخرين"¹، لأن الأنا من تشكل الآخر، وفي نفس الوقت تشكل نفسها أي أنه " لا ذات بلا آخر، ولا آخر بلا ذات"².

إن ثنائية الأنا والآخر وردت في الأديان السماوية، لكن الإسلام هو الأكثر تسامحاً في تفعلها مع الأديان الأخرى.

¹ - محمد سعيد فرج: تغير صورة اليهود في الأدب العربي "دراسة من منظور علم الاجتماع"، ط1، دار العين الاسكندرية، مصر، 2011، ص 104.

² - فاضل أحمد القعود : جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي، دراسة نصية، ط1، دار غيداء، عمان، الأردن، 2012، ص33.

الفصل الثاني:

الإسلام صوفيًا والإحسان الإيجابي في رواية 'خربة الياسمين'

1- منهجية الإحسان الإيجابي

2- ثقافة الإحسان

3- علاقة الإحسان بالإحسان

الإسلاموفوبيا والآخِر الأجنبي في رواية غربة الياسمين لخولة حمدي:

تمهيد:

اشتهر الغرب منذ القدم بعنصريته تجاه الإسلام والمسلمين، فالعنصرية بأبسط مفاهيمها "تفريق أو تفضيل مبني على الجنس أو اللون أو النسب أو الأصل القومي أو العرق أو الدين، أو اللغة وترمي كلها إلى أضعاف الاعتراف بالحقوق الإنسانية والحريات السياسية والاستمتاع بها وممارستها في كل المجالات"¹، ومنه يمكن القول أنه " في كل مجتمع هناك فروقات بين بني البشر على أساس لون البشرة، مبني الوجه، أو مبني الجسم، تبدأ العنصرية في اللحظة التي تُصنّف فيها أناساً على هذه الأسس، ونستعمل هذه الفروقات لتفسر دونية اجتماعية وتختلفاً ثقافياً..."²، إذن فالعنصرية هي نتيجة لاحتقار الآخرين واستغلالهم وعدم المساواة في اللون والعرق، كما تتجسد العنصرية من خلال " المضايقة وتكون في تجريح شخص ما و انفصاله وسدّ الطرق أمامه و اشعاره بعدم الرّغبة في وجوده مما يسبب لها ألم النفسي وإهانة كرامته"³. كما تتخذ العنصرية نوعاً التشتت في المجتمع فينتج على ذلك نوعاً من الحقد والكراهية في نفس الأنا لهذا الآخر العنصري الذي اتهمها بالإرهاب ونظر للحجاب كرمز للقهر والتخلف لما نتج عن ذلك رهاب الإسلام أو ما يسمى بالإسلاموفوبيا.

– مقارنة موجزة لمضمون رواية غربة الياسمين:

تدور أحداث الرواية حول شابة تونسية تدعى (ياسمين) والتي تسافر إلى فرنسا للمكوث عند والدها وزوجته (إيلين) فالرواية تناولت عدة مواضيع كالغربة ومقدار المعاناة التي يتعرض لها المسلمون في بلاد الآخر كرفض الحجاب وإصاق كلمة إرهاب بكل مسلم، وعرفت الرواية نوعين

¹ - محمد عاشور: التفرقة العنصرية، د. ط، مكتبة المهتدين، القاهرة، مصر، 1986، ص 6.

² -يهودا شهاب: محاضرة علم الاجتماع و الانثروبولوجيا في جامعة تل أبيب، معهد فان لير القدس، قسم التربية لحقوق الانسان، د. ت، ص 1.

³ -أحمد ديدات: الحل الإسلامي للمشكلة العنصرية ، تر: محمد مختار، د. ط، المختار الاسلامي للطبع والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ت، ص31.

الفصل الثاني : _____ الإسلاموفوبيا والآخِر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

من المسلمين في الغربة: المسلم المحافظ، و المسلم المتحرر والمنسلخ عن دينه وهويته، بالإضافة إلى موضوع الانتحار في المجتمع الغربي، وكانت نهاية الرواية مفتوحة.

1- عنصرية الآخر الأجنبي:

من أهم القضايا التي عالجتها الروائية خولة حمدي في رواية 'غربة الياسمين' قضية الإرهاب.

1-1- الإرهاب:

الإرهاب سَمٌ ومشكلة من مشاكل العصر، فكل ذي لحية وقميص في نظر الآخر هو إرهابي "فأصابع الاتهام الاعلامية تشير إلى المسلمين بأنهم اللذين يقومون بالقتل والذبح وعمليات التفجير والخطف، وقطع الرؤوس... التي هي بعيدة كل البعد عن روح الإسلام"¹، وقد تحدث الكثير من الباحثين عن ظاهرة الإرهاب، وكأما ظاهرة جديدة وقبلها كانت البشرية سلام وقد ظهر "على الصعيد الداخلي ضمن المجتمع الواحد من السلطة الحاكمة ضد الطبقات المحكومة أو من فئة كبيرة ضد قليلة أو العكس، أو فئة تسعى إلى مقاومة ظلم السلطة الحاكمة، وقد مورس على الصعيد الخارجي باعتداء الدول القوية على الشعوب الضعيفة"²، وانصب حديثنا على الصعيد الخارجي لأن هذا ما سنراه في الرواية.

وقد تعرضت الروائية لسلمات الإرهاب في الرواية حين سردت حادثة الانفجار في شركة الكيمياء في مدينة (ليون) بفرنسا التي راح ضحيتها عدد من المواطنين واتهم بهذا الحادث (عمر الرشيد) بأنه إرهابي لأنه السبب في حصول هذا الحادث الأليم وهذا ما جاء في الرواية "...اسمع يا هذا، الملف الذي بين يديّ وما يحمله من شهادات وقرائن كافٍ لإدانتك بكل سهولة. لكن إن ساعدتنا في كشف كل الأطراف المشاركة في المؤامرة، فستجد مناّ تعاوناً. قد نتوصّل إلى اتفاق يمكنك من الحصول على حكم مخفّف. عشرون سنة فقط بدل السجن المؤبد"³، و واصل قائلاً: "

¹ -أحمد قرتين: الإرهاب في الرواية الجزائرية، مجلة عود الند، العدد 108، 2010، ص2.

² -اسماعيل الغزال: الإرهاب والقانون الدولي، د. ط، بيروت، لبنان، 1990، ص5.

³ -خولة حمدي: غربة الياسمين، د. ط، دار كيان للنشر والتوزيع-22 ش الشهيد الحي بجوار مترو ضواحي الجزيرة- الهرم، مصر، 2014، ص150.

الفصل الثاني : الإسلاموفوبيا والآخِر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

الملف يشير إلى سوابق في سجلك...إدارة جامعة غرونوبل بلّغت عن طالب ذي 'سلوك مريب' من المشتبه انتمائه إلى جماعة متطرفة. هل تمّ تجنيّدك في تلك الفترة؟ جماعة محلّية أم على الحدود السويسرية؟"¹، إذن فكل الأدلة تحوم حول 'عمر' كونه عربي مسلم ذو لحية.

كما سردت لنا الروائية تدخل المحاسبة (رنيم) للدفاع عن موكلها (عمر الرشيدى) فسألها هذا الأخير قائلاً: "أنا متهم بالإرهاب، هل تعلمين؟...هل تعتقدين ببراءتي؟..."².

فالآخِر الأجنبي أناني لدرجة أنه يرى أن كل ذي لحية و مسلم إرهابي " يعتقدون أن كل مسلم ملتزم هو بالضرورة مشروع إرهابي، ربما أفهمهم لأنهم يجهلون كل شيء عن ديننا، ورؤوسهم مليئة بالأفكار المشبوهة"³، ولا شك أن "الحديث عن واقع صورة الإسلام في الغرب والبحث عن سبيل تصحيحها ... حيث وجد الصورة المصطنعة عن الإسلام مادة خصبة لنسج صورة نمطية موهلة في الازدراء و الاستخفاف بتعاليم الإسلام ومبادئه من جهة وعادات وتقاليده المسلمين من جهة أخرى"⁴، فهنا ترى الروائية أن جهل الفرنسيين بالإسلام ودينه وأحكامه هو ما أدى إلى تشويه صورته واعتقادهم أن تلفظ (الله أكبر) يحث على العنف و الإرهاب والتخلف.

كما تطرقت خولة حمدي إلى مسألة الإرهاب في الحوار الذي دار بين (ياسمين) و (روزلين ويليامس) حيث تظهر في كلامها عنصريتها الحاقدة على الإسلام والمسلمين حين وصفت (ياسمين) بالإرهابية "...صرخت فجأة وبشكل غير متوقع: إرهابية... اخرجني من هنا أيتها الإرهابية.. أخرجوا الإرهابية من هنا."⁵، فبمجرد الحديث عن الإسلام والتطرق لتعاليمه يعتبره الآخر (الغرب) تهديداً لبلادهم ودينهم فينعتون الأنا (بالإرهابي)، لم تستطع (ياسمين) أن تنسى الحوار بينها وبين (روزلين) فهم يعتبرون المسلم بأنه " إرهابي الاصولي المتدنس"⁶.

¹ - خولة حمدي : غربة الياسمين، ص 151.

² - المصدر نفسه ص 153.

³ - المصدر نفسه، ص154.

⁴ -مجموعة من الباحثين : صورة الإسلام في الغرب-بين التشويه وواجب التصحيح، د. ط، فاس، 2007، ص8.

⁵ - خولة حمدي: رواية غربة الياسمين، ص224.

⁶ -المصدر نفسه، ص224.

الفصل الثاني : _____ الإسلاموفوبيا والآخِر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

ولم يكن الشعب وحده من يتهمهم بالإرهاب، بل وصل الأمر أن انسأقت وراء التصرف العنصري حتى أعضاء من البرلمان منهم (مارين لوبان) خرجت مع أنصارها لتعلن الحرب على الإرهاب.

إذن فالإرهاب قضية مطروحة منذ البداية في هيئة الأمم و(جورج بوش الابن) هو أقرها وأصبحت تطبق عند بعض الدول وهذا ما فعلته 'مارين لوبان' " خرجت في حشود من مؤيديها و أنصارها لتعلن 'حربها على الإرهاب' "1.

ولقد أصبح الإرهاب هاجس بالنسبة للفرنسيين "وظاهرة معقدة ومتشابكة مع غيرها من الظواهر الأخرى، تشترك في ظهورها جملة من العوامل والدوافع والأسباب إذ تتداخل فيها العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية"2، وأضافت الروائية في هذا الصدد تقول: "إن وجود إرهابيين يتحولون أحرار على الأراضي الفرنسية يثير القلق والفرع في الشارع ويقوّض الإحساس بالأمن... "3.

فالفرنسيون رفعوا لافتات عنصرية ضد كل من هو إفريقي ومغربي فوجودهم يثير الرعب والخوف داخل وطنهم.

لامت (رنيم) النائب العام لأنه لم يتم بإخبارها لتكون على استعداد للدفاع عن موكلها (عمر) قال: "هل تظنين أن الاتهام بالإرهاب جاء من فراغ؟ القضية تحظى باهتمام رئيس الجمهورية نفسه، والشعب الفرنسي كله ينتظر الحكم فيها، فهل تعتقدين أننا اختلقنا التهم وألصقناها بموكلك؟"4، وبهذا فالآخر هدفه التخلص من الأنا التي يراها حثالة وهذا ما تولد "عنه

1 - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص224.

2- لويس علي: آليات مكافحة الإرهاب الدولي بين فاعلية القانون الدولي وواقع الممارسات الدولية الانفرادية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2012، ص16.

3- خولة حمدي: رواية غربة الياسمين، ص226.

4-المصدر نفسه، ص239.

الفصل الثاني : _____ الإسلاموفوبيا والآخر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

فكرة الاستعمار الحديث الذي قام على الغلبة والهيمنة، وفرض النموذج الاوروي والأمريكي على الشعوب¹.

وحسب الروائية أن قضية الإرهاب من أخطر القضايا في فرنسا، كما أنها أصبحت تشغل الشعب والحكومة، ونلاحظ أن المحكمة الفرنسية تستخدم أساليب ملتوية لإثبات التهمة و إدانة (عمر)، بعد خروج مجموعة من الشباب للدفاع عنه في احتجاج باعتباره مسلما ولكن خيفتهم أن "يستغلهم النائب العام لإثبات تهمة 'التنظيم الإرهابي' وقد قدّم إليه الشركاء على طبق من ذهب"².

إن نظرة (ياسمين) كانت مختلفة عن الفرنسيين، وهذا راجع لكونها مسلمة فهي تجزم (عمر الرشيدى) بل أصبحت على يقين أن اعتداءات 11سبتمبر لأنها تدبير صهيوني أمريكي " الموت للمسلمين 'الإرهابية' لافتات صامته مشفرة"³، وهذا يؤكد مدى حق الآخر على الأنا المسلمة.

نستنتج أن هذا المجتمع حاقد وظالم، ومجحف في حق المسلم، ذلك أن عمر الرشيدى كل الأدلة ضده غير كافية لإدانته 20 سنة وهو في نهاية المطاف بريء وحكم عليه ظلماً لأنه مسلم وهذا من بوادر العنصرية، وفي الأخير تبين أن (كريستوف) و (كارولين) هما من قاما بهذه الجريمة و ألقوا التهمة بعمر، حتى طلبت رنيم من كارولين الاعتراف بجريمتها، لكن هذه الأخيرة كانت متخوفة من السجن "ليس مجرد جريمة قتل، إنه إتهام بعمل إرهابي... القانون سيحميك منهم"⁴

ولقد تركت لنا الروائية المجال مفتوح لمعرفة الجرم الحقيقي، لكن الآخر لطالما ألقى تهمة الإرهاب بالمسلمين لن يستطيع تخطيها فلقد أصبح لديهم هاجس الإسلام أو رهاب الإسلام من خلال حادثة 1991 عند إتهام (عمر الرداد) بقتل السيدة (مارشال).

¹ - باديس فرغالي: جدلية الشرق والغرب في الرواية العربية، مجلة الأدب والعلوم الانسانية، العدد الثامن، جامعة الأمير عبد

القادر، قسنطينة، الجزائر، جوان 2007، ص9.

² - خولة حمدي: رواية غربة الياسمين، ص306.

³ - المصدر نفسه، ص388.

⁴ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص396.

1-2- الحجاب رمز للقهر و التخلف:

شن الغرب على الحجاب هجوماً واعتبره رمزاً للقهر، والتخلف لأنه في نظرهم تقييد لحرية المرأة و ظلم لها، وقد أكدت ليلي أحمد الإعلامية أن "الغرب كله يجد الحجاب مظهراً للقهر، ولكن اللواتي اعتدن ارتدائه لا يرينه كذلك"¹، وفي هذا الصدد قال أحمد أمين: " إن الحجاب حاجز ضخيم بين المرأة و رقيها ومن ثم بين الأمة وتقدمها"²، فهم لا يرون أن الحجاب يحمي المرأة و يصون شرفها وعفتها فسروه على أنه ظلم لها و بالتالي فقد "صار خلع الحجاب أولوية ملحة لدى النخب التي تسعى للحاق بالغرب وهكذا صار الحجاب رمزاً قويا للتقدم أي أمة أو تخلفها"³. أي أن الآخر الأجنبي يشترط على المرأة التجرد من حجابها لأن الإلتزام به يعيق سيرورة حياتها.

ولقد تطرقت الروائية خولة حمدي إلى قضية الحجاب و نظرة الآخر له باعتباره عائقا في تقدم المرأة، ورمز للتخلف والقهر النفسي وقاموا بتهميشه في شتى الميادين وهذا ما تعرضت له (ياسمين) من عنصرية تجاه حجابها عندما سألتها أختها (سارا) "لماذا تغطين شعرك؟

-إنه الحجاب الذي يأمرنا به الإسلام.

-لكنك لم تكوني تلبسينه من قبل... حسن. هذا شأن يخصك.. مع أن شكلك أصبح مملاً، مثل جدتي... استهزأت بتعاليم الإسلام دون أن يهتز لها جفن"⁴. حجاب ياسمين جعلها محل للسخرية حتى من المقربين لأن سارا ملحدة و لا تفقه شيء في الإسلام، كما أنها رفضت من عدة شركات بسبب الحجاب وهذا ورد في الرواية "آنسة ياسمين.. ملفك ممتاز ويتماشى تماماً مع المواصفات التي تلزمنا... هناك نقطة واحدة قد لا تكون في صالحن أمام اللجنة.. الأمر يتعلق.. بغطاء الرأس...

¹ - كاترين جولوك: نظرة الغرب إلى الحجاب، تر: شكري مجاهد، ط2، مكتبة العبيكان، أبوظبي، الإمارات العربية، 2011، ص 33.

² - المرجع نفسه، ص 86.

³ - المرجع نفسه، ص 62.

⁴ - المصدر نفسه، ص 35.

الفصل الثاني : الإسلاموفوبيا والآخِر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

-آسفة. لباسي ليس قابلاً للنقاش"¹.

كفاءة (ياسمين) المهنية لوحدها لم تشفع لها في الشركة لأن الحجاب عائق أمام عملها و سيرفضون كل عاملة ترتديه، واصلت الموظفة الكلام قائلة: "لا أعلم بالضبط ماهي القناعات التي تلمي عليك هذا اللباس بالذات... القانون الداخلي للشركة يرفض غطاء الرأس....
-كنت سألتزم بلباس رسمي لائق يحترم بما أمكن قوانين الشركة، لكن دون التنازل عن الحجاب.

-لو وضعتك اللجنة أمام خيارين: الحجاب أو تمويل بحثك، هل تضحين بمستقبلك المهني وترفضين فرصة نادرة من أجل قطعة قماش؟"²، ويعني الحجاب في المنظور الغربي أن "الإسلام كله بقرانه ومحمد وكعبته يتجسد في قطعة قماش هذه، وفي هذه المرأة المحجبة التي تخطر في شوارع باريس، تمثل بالنسبة أخطر ألوان التحدي"³. فهيتها وحجابها كان عقبة في عدم قبولها في الشركة بالرغم من أن ملفها ممتاز، ولغتها جيدة، فالإسلام في نظر الغرب هو مجرد قطعة قماش على الرأس.

وتستمر الأحداث في الرواية لتبيان النظرة السيئة والحاقدة والمعاملة التعسفية للمرأة المحجبة في المقطع الآتي: "...التضييق على المحجبات كان وما يزال رياضة وطنية يمارسها رجال الشرطة بكثير من المتعة في الشوارع والمؤسسات العامة والتعليمية.... كل شيء بدأ في عهد الرئيس السابق الحبيب بورقيبة، حين صدر المنشور 108 سيء الذكر سنة 1981، والذي وصف فيه الحجاب ب'اللباس الطائفي' غير المتناسب مع عادات البلاد وتراثها..."⁴، فقضية الحجاب لم تكن عائقاً في فرنسا فقط بل حتى في تونس بحكم أنه لباس طائفي متطرف.

¹ - خولة حمدي: رواية غربة الياسمين ، ص 39-40.

² - المصدر نفسه، ص 40.

³ - أحمد ادريس الطعان : فلسفة الحجاب، العدد4، مجلة دمشق، سوريا، مج 27، 2011، ص 218.

⁴ - خولة حمدي: رواية غربة الياسمين، ص 40.

الفصل الثاني : الإسلاموفوبيا والآخر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

ولقد كانت (ياسمين) مقتنعة بزيها الإسلامي و تحددت المصائب من أجله وتخلت عن مستقبلها وهذا ما جاء في الرواية فياسمين " اختارت الحجاب وهي على دراية بكل ما ينتظرها من معوقات... لم يكن الحجاب أكسسواراً تنسقه ليلائم سروال الجيتز الضيق والسترة القصيرة فاقعة اللون... في بلد يلي من حرّية المرأة في التّجرّد من ثيابها... ولم تثنيتها المعرقلات، بل زادتها إيماناً..."¹، وبهذا فإن شخصية (ياسمين) القوية قد جعلتها تواجه كل المتاعب لتحافظ على حجابها في ظل هذه العنصرية، لأن الحجاب لم يكن مجرد إكسسوار أو موضحة، بل هو أكثر من ذلك بكثير-قناعة و إلتزام- ولكنها "ظنت أنها لن تعرف المشكلات ذاتها في فرنسا، المعروفة ب'بلد الحريات و حقوق الإنسان'. لكنّ أملها خاب في بداية تجربتها. لم تكن تعلم أن السّياسية التونسية ضدّ الحجاب استهوت الرئيس الفرنسي جاك شيراك.... سارع بتشكيل لجنة مهمتها صياغة اقتراح لقانون جديد يمنع ارتداء كل العلامات التي تشير إلى الانتماء الدّيني..."²، مع أن تونس بلد مسلم إلا أنه يرفض الحجاب ولا يراه من مكملات الدين الإسلامي وهذا نتيجة التعصب "ضد الشيء هو مقاومته"³، وهذا مؤشر على طمس الهويات ذلك أنه "وفي فبراير 2004، صوتّ البرلمان الفرنسي لصالح هذا القانون بأغلبية ساحقة، معلناً الحرب على الحجاب... لكن المتضرّرات الحقيقيات منه هن المحجبات، اللواتي استهدفت بعضهن تحركات عنصريّة وبشكل متكرّر. ومع أن القانون يخصّ المدارس العمومية وحسب، فإنه أعطى ذريعة إضافية إلى كل من كان يستحي من كشف وجهه العنصري"⁴.

ونلمس أيضا النبرة العنصرية عند الآخر حين قالت المسؤولة في الشركة التي توجهت إليها (ياسمين) حيث قالت لها: "يمكنك أن تتزعي غطاء رأسك.. أشعة الشمس لا تصل إلى هنا... حاولت أن تتجاهل وقاحتها... في الحقيقة، كنت مهتمّة حين وصلت.. لكنني رأيت أن اهتمامكم

¹ - خولة حمدي: رواية غربة الياسمين، ص 41.

² - المصدر نفسه، ص 41.

³ - حسن الصغار : الحوار والانفتاح على الآخر، ط1، دار الهادي، بيروت، لبنان، 2014، ص 63.

⁴ - خولة حمدي: رواية غربة الياسمين، ص 41-42.

الفصل الثاني : _____ الإسلاموفوبيا والآخِر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

بلباسي كان أكبر من اهتمامكم بكفائي"¹، فهنا كان اهتمام المسؤولة بالشكل لا بالكفاءة إضافة إلى ذلك سخريتها من مظهر (ياسمين).

واستمرت معاناة ياسمين في ظل الإهانة والعنصرية المتكررة بخصوص حجابها، فالحجاب من منظور الغرب هو تقييد لحرية المرأة، وكشفت لنا الروائية ما تتعرض له المرأة المسلمة من سخرية وإهانات بسبب حجابها، فالغرب مجتمع عنصري تجاه كل محجبة.

2- ثقافة الآخر:

تمتد الثقافة لتشمل جميع نواحي الحياة، من تاريخ ودين، وحاضر وماضي الإنسان، إذ لا يمكن تخيل مجتمع دون ثقافة فـ"كلمة ثقافة استعملت بطرق مختلفة سواء من جانب علماء الاجتماع أو في الأحاديث اليومية، وفي جميع الطرق التي استعملت فيها الثقافة تلميحاً أو تصريحاً جرى التعامل معها كشيء مغاير للطبيعة، فالأشياء التي يصنعها الإنسان ويمارسها هي معطيات ثقافية"²، وعليه فالثقافة من أرقى المظاهر الإنسانية، وبشكلها الواسع، فالثقافة تحتوي على الاعراف، و الأيدولوجيات لمجتمع، وقد جاء تعريف 'رايت' المتضمن أن "الثقافة هي النمو التراكمي للتقنيات والعادات والمعتقدات لشعب من الشعوب يعيش في حالة الاتصال المستمر بين أفرادها، وينتقل هذا النحو التراكمي إلى الجيل الثاني عن طريق الآباء، وعبر العمليات التربوية"³، فالثقافة وبشكل واسع تحتوي على الأعراف، و الإيديولوجيات لمجتمع ما، وقد تمثلت هذه الثقافة في روايتنا من خلال المقاطع السردية التالية:

¹ - حولة حمدي: رواية غربة الياسمين، ص 78.

² - هارليمس وهولبورن: سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حاتم حميد محسن، ط1، دار كيوان ، دمشق، سوريا، 2010، ص 7.

³ - برهان زريق : مخاطر الغزو الثقافي، ط1، دار النمير، دمشق، سوريا، 2017، ص 7.

2-1- الأعراف:

إنه لكل أمة، ولكل شعب ولكل مجتمع من مجتمعات العالم عادات و أعراف خاصة به، والتي تميزه عن مختلف الشعوب، تكون هذه الثقافة متولدة عن أسطورة، أو حكاية شعبية، تنتقل جيل عبر جيل.

إذ نجد أن الرواية قد صورة بعض عادات المجتمع الفرنسي، ومنها العادات السلبية كالتدخين وهذا ما تمثل من خلال (إيلين) إذ تقول الروائية: " كانت إيلين تجلس وحيدة إلى المائدة، تحتسي قهوتها في صمت وتنفث دخان سيجارتها. ابتسمت في شرود و أشارت إلى المقعد المقابل:

-تردين بعض القهوة؟

أومأت في صمت وجلست متململة. قالت بعد صمت قصير:

-لم أكن أعلم أنك تدخين.

-السيجارة تشغل عن الهموم وتلهي عن الوحدة"¹.

التدخين يعتبر عادة سيئة لا يمكن الاستغناء عنها، فمثل 'إيلين' أصبحت السيجارة تمثل نوعاً من الرقي، والاستقلالية فيإيلين كانت وثقة من ما تفعله و متأكدة أن عاداتها لن تتغير حتى وإن اختلفت ديانتها إذ ترد إيلين على سؤال ياسمين حين سألتها قائلة: " هل فكرت يوماً في الإسلام؟ التفتت إليها إيلين في حدة وقالت في لهجة قاطعة فاجأت ياسمين:

-طوال هذه السنوات لم يحاول والدك التأثير عليّ أو إقناعي بالإسلام، وأنا أشكر له ذلك. لست في حاجة إلى دين ما لأميز الخير من الشر. ولا أظن أن اعتناق الإسلام أو غيره من الديانات قد يحدث أدنى تغيير في طبعي وتصرفاتي. وأنا راضية عن أخلاقي ومعاملتي.. لست في حاجة إلى أوامر ونواهٍ تسيّر حياتي. لذلك رجاء.. لا تحاولي إثارة هذا الموضوع مجدداً"²، فالتدخين بالنسبة لإيلين هي عادة لا يمكن الاستغناء عنها في أي شكل من الأشكال، فالعادات "هي سلوك

¹ - حولة حمدي: رواية غربة الياسمين، ص 43.

² - المصدر نفسه، ص 44.

الفصل الثاني : _____ الإسلاموفوبيا والآخَر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

اجتماعي متكرر يتم توارثه، و يمكن أن تكون العادة فردية أو هي سلوك اجتماعي حبري ملزم، تتكون انطلاقاً من قيم دينية، وعرقية تجعل الأفراد تبعاً كعادات الزواج، يجسدها الأفراد في مختلف طبقات المجتمع ومستوياته و أنماطه الحضري والريفي"¹. وعليه فالعادات هي تلك الأعراف المتلازمة مع الفرد ولا يمكن الاستغناء عنها.

إذ نجد (باتريك) أخ (إيلين) هو أيضاً يمتلك عادة التدخين كشقيقته ويشركها نفس الشعور بأن السيجارة تجعل له هيبه، ومكانة وتجعل منه بطلاً في أعين الآخرين تقول خولة حمدي: "كان باتريك قد خرج إلى الحديقة ليدخن سيجارة"². باتريك كان مدمن على التدخين والشرب "راقبت حركاته في تحفّز فترأى لها أنه قد أسرف في الشرب ذلك المساء. وجاءت الرائحة الكريهة المنبعثة عنه لتؤكد اعتقادها... يطفئ سيجارته التي اشتعل معظمها في وعاء قريب"³ التدخين أصبح ضرورة لا يمكن العيش دونها فهي بمثابة ذلك الصديق الذي يُنسي الهموم.

فيا سمين قد أصبحت بالنسبة لها رؤية المدخنين في كل الأماكن والزوايا شيء مألوف، فبالرغم من أن التدخين عادة سيئة إلا أن المجتمع قد تعود عليها "لا هوية من دون وجود وشعور بذلك الوجود، وهذا يقوم على وعي للذات ينطوي على إدراك لتمايزها عن الآخر و لخصوصيتها في آن معاً، مهما كانت درجة ذلك الإدراك حتى لو كان إدراكاً أولياً أو بدائياً، ومن البديهي أن الوجود الواعي يتفتح على الآخرين لأنه يحتاج إليهم و لا يظهر تمايزه إلا بالاحتكاك بهم، ولكن حضوره ومشروعه، و قوة وجوده كل ذلك يتجنى دائماً بوعيه لخصوصيته-هويته- التي تحفظ له ذلك التمايز الذي تكوّن عبر تجارب وبيئة و زمن وموروث أجيال من التاريخ و الخبرة، كون طمعاً خاصاً و قيماً ومعايير ورؤية و أسلوب تفكير و سلوك العمل"⁴.

¹ - لزهرة مساعديّة: في مفهوم الثقافة وبعض مكوناتها (العادات والتقاليد، الاعراف)، مجلة الذاكرة، الجزائر، العدد9، جوان 2017، ص36.

² - خولة حمدي: رواية غربة الياسمين، ص206.

³ - المصدر نفسه، ص 206.

⁴ -برهان زريق، مخاطر الغزو الثقافي، ص 18-19.

الفصل الثاني : الإسلاموفوبيا والآخِر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

فالفرد يجب أن يشعر بانتمائه ووجوده، وأن يحافظ على انتمائه للوطن حتى وإن كان احتكاكه بقوم غير قومه مختلفين عنه في عاداتهم وأعرافهم يجب أن يظل متمسك بهويته، إذ ترسم لنا الرواية في مقطع حوار بين (هيثم) و (باتريك) "أنته من أفكاره حين لمح باتريك يجلس في ركن مظلم على مقعد حجريّ عريض. هداه ضوء السيّجارة المشتعلة إلى مكانه. سار في اتجاهه دون تفكير واستجاب إلى دعوته الصّامته للانضمام إليه في جلسته الكئيبة تلك. عرض عليه سيّجارة فرفضها هيثم بابتسامة ساخرة وهو يقول:

-لا أريد أن أموت شاباً.

ابتسم باتريك بدوره وهو يلقي بالسيّجارة على الأرض ويدهسها بقدمه في حركة ازدراء. لم يدر هيثم إن كانت كلماته قد أقتعته أم أنه قد اكتفى من السجائر الكثيرة التي أتهاها قبل مجيئه. ساد صمت ثقيل بينهما"¹.

هيثم كان يدرك أن التدخين آفة اجتماعية خطيرة، فقد تؤدي بحياة الفرد إلى التهلكة وتسبب له الأمراض، وتدمر عقله وتذهب ماله، إذ يقول أنور الجندي في كتابه حول موضوع 'أزمات النفس الإنسانية'... ذلك يقضي على كثير من الأخطار التي تواجه الفكر العلمي المضاد. وأزمات النفس الإنسانية، ذلك أن هذا التمزق الفكري هو أساس أزمة الإنسان الحديث، ولا ريب أن أزمة القلق التي يعانها المثقف المسلم اليوم إنما تعود إلى أصل واحد، ومصدر واحد، هو ذلك الإنسان قد ترك مقوماته الأساسية و قيمه في نفس الوقت الذي أخذ يواجه فيه النظريات الجديدة، والمذاهب العالمية، و لو أنه اتقى بالفكر الإسلامي وهو مسلح بقيمه ومقيم على قاعدته لما وقع مثل هذا التمزق، ولما واجه مثل هذه الأزمة التي توصف بالضياع"². فالفرد المتمسك بقيمه وقيم دينه لا ينجذب إلى هذه العادات السلبية التي كل ما بشأنها هو إذهاب عقل الفرد.

¹ - خولة حمدي: رواية غربة الياسمين، ص 338.

² - أنور الجندي: منهج الإسلام في بناء العقيدة و الشخصية، د. ط، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، 1980، ص 12.

الفصل الثاني : الإسلاموفوبيا والآخر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

وفي الرواية إشارة إلى عادات أخرى سيئة للمجتمع الفرنسي ففي تصوير الروائية لحفلاتهم كانت لا تخلو من الكحول والخمور إذ سردت لنا حفل في الجامعة لتوديع أحد الأساتذة كان مليء بالخمر تقول: "المرّة الأولى التي ظهرت فيها زجاجات الخمر أمام عينيه وجهاً لوجه، كانت في حفل أقامته الجامعة لتوديع أحد الأساتذة الكبار أحيل على التقاعد... فاجأه بكأس الشامبانيا التي دفعها في اتجاهه وابتسامة مشجّعة على وجهه"¹، فشرب الخمر بالنسبة لهم تشعرهم بالسعادة، و تبعدهم عن الحقيقة وتصور لهم العالم بصورة مختلفة.

إذ تجد أيضاً من العادات السلبية لديهم هي أكل لحم الخنزير وهذا ما صورته الروائية في هذا المقطع "وصورة كؤوس الشامبانيا المترعة وشرائح لحم الخنزير المملحة تملأ رأسه"²، فالجتمعات الغربية يعتبرون أكل لحم الخنزير شيء يدل على الرقي والتقدم، وأنه بالنسبة لهم هو شيء غير محرم بالرغم من وجود عدة نصوص دينية تحرم هذه العادة لقوله تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ} سورة البقرة، الآية 173، فما هو بالنسبة لهم عادة وتعبير عن الرقي والازدهار هو عند الله من الكبائر والمحرمات.

فالتبرج و الاختلاط من عادات المجتمع الفرنسي، إذ يعتبران من مظاهر التفتح، حيث تصور لنا الروائية مشاهد لمخالطة النساء للرجال، وتمثل هذا في الفتاة الفرنسية (كارولين) الفتاة الجذابة التي تحاول التقرب من عمر، إذ تقول خولة حمدي: "حاول أن يصدّها بشقّ السبل، بالإعراض، بالتجاهل، بالصمت الرهيب.. لكنها كانت تلاحقه برقتها وأنوثتها.. وفتنتها. يعلم أن ليس هناك على الأرض فتنة للرجال أقوى من النساء، وهي كانت من النوع الجذاب..."³، فكارولين تتميز بالأناقة و الجاذبية، فقد كانت تتمتع بجمال و ذكاء، وتصورها الروائية في مشهد آخر تقول: "كارولين التي سبقتها رائحة عطرها، لتدير رؤوساً كثيرة في الكافتيريا"⁴، فكارولين قد بالغت في

¹ - خولة حمدي: رواية غربة الياسمين، ص 11.

² - المصدر نفسه، ص 12.

³ - المصدر نفسه، ص 48.

⁴ - المصدر نفسه، ص 53.

الفصل الثاني : _____ الإسلاموفوبيا والآخر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

اظهار جمالها ومحاسنها، فاهتمت بجمالها الخارجي (جسمها) من أجل أن يكون جذاباً إذ يقول الدكتور مازل مرسل في كتابه حول موضوع الاهتمام بالجسد "الإشارة إلى الجسد من خلال الاهتمام بإظهاره وفق ما تقتضيه الأوضاع آنذاك لغايات و مقاصد، على أن هذا الاهتمام لم يكن من خلال العناية فكريا بضرورة الاهتمام به، وإنما الإشارة له بشكل بديهي، يتمثل بما يحققه لهم الجسد من مكانة وقيمة في المجتمع"¹.

فالاهتمام بالجسد وإبراز مفاتنه أصبحت بالنسبة للمجتمعات الأوربية دليلاً على الرقي والتقدم، وهذا ما تمثل في كارولين فقد كانت شديدة الاهتمام بأبرز مفاتها، إذ تصفها الروائية فتقول: " كانت تضع ساقا على أخرى وترنو إليه في دلال لا يقاوم"²، فكارولين كانت تتقن لغة الجسد جيداً وهذا ما زاد جمالها. ونجد في الرواية أيضا (كلوديا) صديقة (ميشال) والتي كانت هي أيضا فتاة شقراء جميلة المظهرة تقول الروائية: "في تلك اللحظة دار مفتاح في قفل باب الشقة وظهرت شابة شقراء عند المدخل"³

إن الاختلاط فعل معتاد عند الغربيين-خاصة المجتمع الفرنسي- فبفعل الاختلاط تحررت المرأة وأصبحت تمارس حياتها و تسيرها كما تشاء، و أصبح الرجال عازفين عن الزواج، وهذا ما تمثل في المقطع الآتي: " رنيم.. تعلمين جيداً أنّ علاقتنا لا يمكن أن تنجح. أقدرك و أحترمك كصديقة عزيزة، و سأظل.. مشاعرك الجميلة غالية عليّ، وكنت أتمنى أن نستمرّ معاً.. لكن، أنتِ ترددين الزواج.. وأنا لست مستعداً له بعد. لا أريد علاقة تقيديني. الزواج ليس إلا عقداً مكبلاً.. وأنا أريد أن أحفظ بحريتي..."⁴. فالزواج أصبح يمثل قيداً للرجال، وهم لا يريدون أن يخسروا حريتهم بالزواج، وهذا سببه العادات السلبيه كالنساء التي اعتدنا مخالطة الرجال والسهر معهم

¹ - مازن مرسل محمد: حفريات في الجسد المقموع، مقارنة سوسولوجية ثقافية، ط1، دار الامان، الرباط، 2015، ص 16.

² - نخولة حمدي، غربة الياسمين، ص 82.

³ - المصدر نفسه، ص 23.

⁴ - المصدر نفسه، ص 23.

الفصل الثاني : الإسلاموفوبيا والآخِر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

والخروج بأهمل وأجمل الحلى منكشفات على جماهن ويجلس معهم دون أن تكون هناك أي علاقة أو رابط. " الفرد هنا-وأنت أيضا تحبين هذه الأجواء- يشعر بكيونته إنه إنسان كامل الحقوق، و يمارس كل طقوسه وعاداته وتقاليده، ويصرح بكل قناعاته، ويفعل ما يشاء"¹.

إلا أنه تجد أيضاً في الرواية بعض العادات الحسنة و الإيجابية، فمن عادات المجتمعات الراقية والنبيلة كتقديم الهدايا للأصدقاء، دليل على الحب والقيم النبيلة، إذ ترسم الرواية هذه العادة في تقديم (ميشال) باقة من الورود لـ (رنيم) في فترة توجدها في المستشفى " ... لذلك أرسل إليها هذه الباقة

-ممن هي؟

هتفت في لهفة وهي تتطلع إلى باقة الورود البيضاء. اللون الأبيض، أليس لون الاعتذار؟ نظرت إليها المرّضتان في دهشة. كانت تتكلم للمرة الأولى بعد خروجها من غرفة العمليات. سارعت المريضة التي أحضرت الباقة بإخراج البطاقة التي تصاحبها و قرأت التوقيع بصوت عالٍ. -ميشال روسو.

تسارعت دقات قلبها وهي تمد يدها في اتجاهها:

-هاأها..."²

فهذه العادة الإيجابية قد بعثت السرور في نفس رنيم التي كانت قد انهكتها العملية، فميشال أراد الاعتذار منها على كل ما تسبب فيه من أذى جسدي ونفسي لها. إذ نجد هذه العادة أيضا عند مجيء (لورا) إلى شقة (ياسمين) و (رنيم) وهي تحمل في يدها باقة من الورود. وهذا ما دل عليه المقطع السردي: " تعلقت نظرات رنيم بالفتاة الشقراء التي ظهرت عند باب الشقة وبين يديها باقة ورود أنيقة"³.

¹ - ماحدة الغرابوي: اخفاقات الوعي الديني، حوار في تداعيات النكوص الحضاري، ط1، مؤسسة المثقف العربي، بيروت، لبنان، 2016، ص 18.

² - خولة حمدي، غربة الياسمين، ص 26.

³ - المصدر نفسه، ص 213.

الفصل الثاني : _____ الإسلاموفوبيا والآخِر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

فتقدم الهدايا من الصفات الحسنة التي تدل على مدى رقي الأفراد، وكذلك من العادات الإيجابية، فهي تزيد المحبة و لألفة وتقوي رابط الصداقة بين الأحباب و الأصدقاء.

2-2- الإيديولوجيات:

يقول غوستاف لويون: " المعتقد هو إيمان ناشئ عن مصدر لا شعوري يكره الإنسان على تصديق فكر أو رأي أو تأويل أو مذهب جزافاً... يجب أن نصف بالمعتقد كل ما هو من عمل الإيمان، ومتى استمات المرء في تحقيق صحة المعتقد بالتأمل و التجربة"¹. فالمعتقدات هو ما يؤمن به الشعب فيما يتعلق بالعالم الحسي الخارجي.

إذ نجد في رواية 'غربة الياسمين' لخولة حمدي مجموعة من المعتقدات، منها متمثل في الشاب

(ميشال) صديق (رنيم) الذي رفض الزواج من رنيم وأراد أن تظل علاقة بينهم دون زواج لأن الزواج حسب قوله: " أنتِ ترددين الزواج.. وأنا لست مستعداً له بعد. لا أريد علاقة تقيديني. الزواج ليس إلا عقداً مكبلاً.. وأنا أريد أن أحتفظ بحريتي..."².

فالمجتمعات اليهودية قد أسرقت في مفهومها للحريات الشخصية، وأصبحت تهدم القيم النبيلة، فقد أصبح الشباب يمارسون الفواحش ويرضون كل ما في أنفسهم، فصاروا يرون أنه لا حاجة إلى الزواج الذي هو ليس سوى قيد للحرية.

فميشال بعد أن أخذ ما يريده من رنيم أصبح أنانياً لا يفكر إلا في نفسه، وترك الفتاة (رنيم) التي منحتة جزءاً من جسمها تصارع الحياة لوحدها، و لم يبادلها أي مشاعر و (باتريك) الذي كان شديد الكره لزوج أخته (سامي كلود) إذ صورة الروائية هذا الكره بقولها: "كان باتريك يجلس بمفرده وقد انتابه ذهول رجعيّ، إذن ياسمين هي ابنة كمال! ذلك الشخص البغيض الذي يحقد عليه كل الحقد"³، فحقد باتريك على والد ياسمين الذي هو زوج أخته جعله يحرض أخته إيلين

¹ - غوستاف لويون : الآراء و المعتقدات، تر: عادل زعير، ط1، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2014، ص 17.

² - خولة حمدي، غربة الياسمين، ص 23.

³ - المصدر نفسه، ص 202.

الفصل الثاني : _____ الإسلاموفوبيا والآخر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

على الطلاق منه وراح يفكر في كيف يجعلها تنهي هذه العلاقة " لم يكن مناسباً لها. إنها تستحق الأفضل، وهو جاء ليقنعها بذلك. كان يجب أن يحصل الطلاق منذ زمن بعيد.. لم يفت الوقت بعد"¹.

فحقده أعمى على عينيه و أصبح يحرص شقيقته على الطلاق من زوجها معتقداً أنها تستحق حياة أفضل بكثير من التي هي تعيشها مع زوجها (سامي كلود) فباتريك قد سيطر على أفكار أخته و مشاعرها "لا تتحول المشاعر مباشرة إلى افكار، ولكنها تولد أفكاراً لا تليث أن تستدعي مشاعر فكلا الطرفين مع محافظتهما على استقلالهما يؤثر أحدهما في الآخر تأثيراً متوالياً، وعلى ذلك فإن الأفكار ذات تأثير لا يسعنا إنكاره في حياتنا الفردية و الاجتماعية، وهذا التأثير لا يتم أمره إلا إذا استندت الأفكار إلى دعائم عاطفية، وكما كانت المشاعر مصدراً للأفكار فإن ما يقع بين الأفكار من عراك و بالحقيقة يقع بين المشاعر و الشعوب الت يظهر أنها تتقاتل من أجل بعض الأفكار هي تتقاتل في الواقع من أجل بعض المشاعر التي تشق منها تلك الأفكار"².

فباتريك كان يرى أن الطلاق هو الحل الذي سيخلص شقيقته من حياتها البائسة مع زوجها إلا أن أخته قررت أن تضع حداً لحياتها، فالمرأة بعد الطلاق تجد نفسها وحيدة بلا سند وتصبح حياتها محطمة و لا شيء مرغوب فيها، فلا أمل في هذه الحياة البائسة إذ تقول الروائية في روايتها:
" ... سارة، كيف حالك؟

فوجئت حين وصلها صوت سارة الباكي وهي تتكلم بصعوبة بين دموعها:

-ياسمين.. هذه أنت؟

هبت جالسة في توتر وهي تحاول تهدئتها:

-سارة عزيزتي.. هوّني عليك.

لكن نشيج سارة كان يرتفع أكثر وصوتها يتهدج أكثر:

¹ - حولة حمدي، غربة الياسمين، ص 203.

² - غوستاف لويون، الآراء والمعتقدات، ص 87.

الفصل الثاني : _____ الإسلاموفوبيا والآخِر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

ثم تماوت على الأرض وعيناها مثبتتان على الحزام الجلدي الذي كان منذ دقائق قليلة متصلاً بحقيبتها.. في تلك اللحظة كان جانب منه ينعقد بإحكام حول أسلاك مصباح الإضاءة المتصلة بالسقف، في حين أحاط طرفه الثاني بعنق المرأة وعصره بشدة.. حتى الموت"¹.

إن جهل روزلين وسيطرة الأفكار السلبية، ودخولها في حالة من الوسواس جعلها تقدم على الانتحار لتخلص من صعوبة الحياة والهروب من الواقع المروع الذي كانت تعيشه. "... والحقيقة هي أن تكوين أكثر الآراء و المعتقدات لا يستلزم سوى قليل من العوامل، ف عوامل العرق، والبيئة والعدوى، تفي لإنشاء المعتقدات العظيمة، وعاملا الانفعال والمنفعة الشخصية يكفيان لتكوين الآراء اليومية، ومع ذلك فإنك ترانا مكرهين على البحث في عوامل أخرى، ذلك لأن العوامل إذا لم تكن ذات تأثير على الدام فإنه ليس فيها ما هو غير مؤثر في أحد الأوقات"²، فإن تأثير اعتقادهم أن الانتحار هو وحده الذي يخلص الإنسان من كل مشاكل الحياة كان ذو تأثير واسع الانتشار.

إذ توضح رغبة روزلين في التخلص من هذه الحياة العبارة الآتية: " أنتِ تناضلين من أجل الحرية المطلقة والنقية من كل قيود، سنسميها 'عقيدة الحرية' وحين وجدّت نفسك في ظروف قاسية لماذا لم تعودي إلى تلك المبادئ التي تعيشين من أجلها لتستمد منها الشجاعة على مواصلة الطريق؟ لماذا اخترت الانتهاء من الحياة، مع أنه قرار لا رجعت فيه و لا يترك المجال لفرصة جديدة؟ أليست لديك ثقة كافية في معتقدك؟"³، فياسمين كانت تحاول في كل مرة جعل روزلين تتمسك بالحياة وتثق في معتقداته ودينها وتنسى كل ما حصل معها، و السير في الحياة وعيشها كما هي بفرحها وحزنها، لأن الله عز وجل هو وحده من يسير حياة الإنسان.

ولقد كان معتقد الانتحار المسيطر على الشابة (لورا) أيضاً بعدما تركها هيثم وانفصل عنها، وهذا ما يحدده المقطع السردى الآتي: "... عليه أن يصمد لبعض الوقت ولن تتصل به بعد ذلك. ما الذي جدّ؟ في ذلك الصباح، وضح حدّاً لعلاقته بلورا، هكذا دعاها لشرب فنجان قهوة في

¹ - خولة حمدي: رواية غربة الياسمين ، ص 264.

² -غوستاف لويون، الآراء والمعتقدات، ص 104.

³ - خولة حمدي، غربة الياسمين، ، ص 223.

الفصل الثاني : _____ الإسلاموفوبيا والآخر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

فضاء الاستراحة بالشركة... يا بنت الحلال، الطريق بيننا مسدود هنا تنتهي الرحلة، أنا لست مناسباً لك، وأنت لست مناسبة لي، ننتمي إلى عالمين مختلفين، بيننا برزخ لا ينغبان، بكت وتشبّثت به أكثر، اعتذر مخلصاً لأنه أخذ كل ذلك الوقت ليصارحها¹. فهيثم بعد تفكير عميق و مطول قرر أن يصارحها بمشاعره، وعدم رغبته في الزواج منها، وعدم رغبته في مواصلة الطريق معها، وأن علاقتهم لا فائدة منها، كل هذا أصاب (لورا) بحالة نفسية هستيرية، جعلها تقرر الهروب من الحياة والتخلص من كل تلك المشاعر التي كانت تحملها في قلبها لهيثم إذ تقول (لورا): "سأضع حداً لحياتي إذا تخلى عني"².

إذ تأكد قرارها هذا في حديثها مع ياسمين بالمقطع الآتي:

"- ألن يأتي؟"

-من تقصدين؟

-هيثم!

ثم أضافت و عيناها تتسعان ذهولاً:

-أنت لم تخبريه؟!

-أخبره بماذا؟

-بأنني سأنتحرا!³

فجهل الآخر برحمة الله ورثفته جعلته يجهل أن قتل النفس يعتبر حق محرم، لقوله تعالى: { ...

وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (29) { سورة النساء، الآية 29.

فلورا قد أصبحت ترى أن الحياة قد أدارت لها بظورها، بعدما قررت أن تدخل في الإسلام من أجل الارتباط بهيثم، ولكنه خيب كل أمالها أن كانت كل ما تطلبه من الله وتتمناه هو أن يجمع بينهم إذ تقول: "إيماني مضطرب هذه الفترة. دعوت الله أن يعيد إليّ هيثم، لكنّه لم

¹ - خولة حمدي، غربة الياسمين ، ص 363.

² - المصدر نفسه، ص 366.

³ - المصدر نفسه، ص 366.

الفصل الثاني : _____ الإسلاموفوبيا والآخر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

يستجب"¹، لورا قد كانت تظن أن الله لم يستجب لدعائها بالجمع بينها وبين هيثم في حاله، وهذا م جعلها تعتبر نفسها سيئة الحظ لذلك قررت وضع حد لحياتها، فهم لم يفهم حقيقة وجودهم في هذه الحياة الذي قرره الإسلام " يقرر الإسلام أن الناس سواسية وأنهم خلقوا من نفس واحدة ويقرر أيضا أنه لا تفاضل بين الأجناس والأعراف والشعوب إلا بالتقوى، وأن كرامة الإنسان يمكن تحقيقها فقط حينما يعرف الإنسان الغاية من خلقه ويجتهد في تحقيقها، وأن التفاضل في الكرامة ليس لأحد من البشر أن يدعيه أو يقرره، هو خالقهم سبحانه وتعالى الذي يعلم تقوى خلقه وهو مطلع على ثوابهم"². فالله عز وجل هو وحده من بيده ملكوت السموات والأرض.

3- علاقة الأنا بالآخر:

أرادت الأنا إيجاد أفق التواصل، ومدّ جسر التعارف مع الآخر و التعايش بكل اختلافاتها، بل بإقامة علاقات متبادلة معه ولا "نستطيع في حديثنا عن الذات العربية أن نتجاهل هذا الآخر الغربي سواء أكان هذا بوجه سلمي أو إيجابي... و إذا كان على علم بوجود هذه العاطفة فحقها لا يمكننا تجاوزها تجاوزاً تاماً فنحن ننتظر إخضاعها برجة ما للعقل والمنطق في علاقاتها بالموقف مع الآخر"³ بمعنى أن الذات (الأنا) هي التي ترسم العلاقة مع الغير.

واستهلالا لكلامنا لا بد أن نُقرّ بوجود علاقة الحب والمودة، وعلاقة المصاحبة في الرواية، فهي مسيطرة لأن (الأنا) في بعض المواقف نراها لا تكثرث بالحدود الفاصلة من دين ولغة و معتقد وحضارة، فالمشاعر شيء فطري "فمنذ وجود الإنسانية نشأت حاجة المرأة للرجل مهما كانت هذه الحاجة، وتعددت سواء كانت عاطفية أو مادية، وأي محاولة لنفي هذه الحاجة المتبادلة إنما هي مضادة للفطرة الإنسانية"⁴ بمعنى آخر أن العلاقة قائمة على ثنائية الأشياء وعلاقة التضاد بينهما.

¹ - خولة حمدي، غربة الياسمين، ص 367.

² - أحمد ديدات : الحل الإسلامي للمشكلة العنصرية، تر: محمد مختار، مكتبة ديدات، المختار الإسلامي، د. ط، د. ت، ص 14-15.

³ - نجم عبد الله كاظم: نحن و الآخر في الرواية العربية المعاصرة، ط1، دار الفارس، بيروت، لبنان، 2013، ص 39.

⁴ - محمد جلاء إدريس، المرجع السابق، ص 133.

فالرواية ركزت على العلاقات التي تسودها الصداقة أو الحب.

3-1- علاقة المودة والحب:

عرضت الروائية خولة حمدي لنا بعض الشخصيات التي خاضت تجربة الحب:

أ- علاقة رنيم بميشال روسو: كانت (رنيم) مغرمة بـ(ميشال) لدرجة أنها تبرعت له بكليتها لإنقاذ حياته فهي أعطته قطعة من جسدها ليعيش، وقد ظلت (رنيم) تُمني نفسها بأن يلتفت إليها (ميشال) ويطلب يدها للزواج لكن خاب ظنها وذلك من خلال المقطع السردي "أشفق عليها حقاً.. تبرعت له بكليتها، فتحسنت صحته وتعكرتصحتها.

- هذا ما يسمى الحب!"¹

فرنيم لم تبال بحالتها و لا العواقب التي ستجر نتيجة تضحيتها، فالحب أعمها. وأخبرت رنيم ميشال ما يحصل لها فقالت له: "ما الأمر؟! هل تعلم أنني أرقد في المستشفى أعاني الألم و الوحدة؟ ألم تفكر في أنني قد أحتاجك في هذه الفترة.. أحتاج دمعك وحضورك، ولو على الهاتف؟"² لكن ميشال لم يكثرث لما فعلت لأجله و أجابها بكل برودة "رنيم.. تعلمين جيداً أن علاقتنا لا يمكن أن تنجح...مشاعرك الجميلة غالية عليّ، وكنت أتمنى أن نستمر معاً"³، لأن المجتمعات الأوروبية يعيشون أحرار من غير زواج لأنهم في رأيهم أن الزواج ليس إلا عقداً مكبلاً.

إن خيبة الأمل التي أحست بها رنيم كانت واضحة لأن ميشال رفضها بحجة أنه لا يريد التقيد بالزواج وذلك واضح في الرواية "... لم يكن ينوي الارتباط بها منذ البداية. استغلها. استغلّ سذاجتها ليحصل على الكلية التي يحتاجها. تركها تحلم بالزواج والارتباط...لماذا اعتقدت أنها قادرة على التأثير عليه باسم الحبّ والتضحية والجميل؟...تطلب الكثير.. بل آمنت بصدق

¹ - خولة حمدي، غربة الياسمين ، ص 20.

² - المصدر نفسه، ص 23.

³ - المصدر نفسه، ص 23.

الفصل الثاني : الإسلاموفوبيا والآخر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

العواطف"¹، هنا ركزت الروائية على طريقة التفكير الغربي المتضاد مع التفكير العربي و الثقافة الإسلامية فـميشال كان يريد رنيم من أجل مصلحته و أراد علاقة عابرة معها واستغل ضعفها وحبها له، بالإضافة إلى المتاعب التي سببها لها وجعلها تدفع ثمن تضحيتها من أجله فهي " لم تكن تدرك أن تعلقها به قد بلغ هذه الدرجة من العمق. مجرد ذكر اسمه كان كافياً لتعود الحياة إليها... مهما كانت خسارتها بفقدانه كبيرة، فالبكاء من أجله خسارة أكبر"².

وعرضت لنا الروائية رنيم وهي التي كانت متعلقة بميشال لدرجة لا يمكن وصفها، فهي لم تتحمل فقدانه و رفضه لها كانت صفة موجعة و أوضحت الروائية ذلك في الرواية بقولها: "رغم أن الجرح في نفسها كان ما يزال يافعاً، والحديث عنه سينكؤه ويجدد آلامها إلا أنها اندفعت وقد راودتها رغبة في تقاسم ذلك الحمل مع شخص آخر"³

وفي مقطع آخر نجد ياسمين تقول: "حمداً لله على سلامتك! ذلك الشخص الحقيّر لا يناسبك ولا يستحقك، عيينا نحن بنات حواء أن مشاعرنا تسيّرنا وقلوبنا تتحكم بنا"⁴ فبرأي ياسمين أن رنيم لا يستحقها ميشال، لا نفس الدين و لا نفس المجتمع فـحن " في المجتمع والعصر الذي كانت تعيش فيه الرواية هو من يتحكم في شخصيتها والخوف والقمع من الناس خشية الفضيحة أخلدها الضعف والحزن منذ الصغر، أي العصر و المجتمع عاملان أساسيان في تطوير المجتمع، وهما سبب في تدهور أوضاع الناس"⁵.

و واصلت ياسمين كلامها قائلة: "لكن هل تعلمين؟ الله يحبك، لأنه أراد لك النجاح من هذه التجربة دون الوقوع في معصية كبيرة. صحيح أنك فقدت كلية، وهي ليست بالأمر الهين. لكن

¹ - حولة حمدي، غربة الياسمين ص 24.

² - المصدر نفسه، ص 26، 28.

³ - المصدر نفسه ، ص 145.

⁴ - المصدر نفسه، ص 145.

⁵ - بثينة عيادي، فطوم شبح : الأنا والآخر عبر اللغة السردية في رواية 'جراح الروح والجسد'، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة حمّة لخضر، الوادي، الجزائر، 2018-2019، ص 31.

الفصل الثاني : الإسلاموفوبيا والآخر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

علاقتك بميشال هذا كانت خطأ منذ البداية. حتى لو توجت بالزواج فهي خطأ. لأن المرأة المسلمة لا يصح أن تتزوج غير المسلم!"¹

وجاء ذلك في قوله تعالى: { ... وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَعْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَبَيْنَايَاهُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (221) } سورة البقرة، الآية 221.

وهذه الآية صريحة في تحريم نكاح من لا كتاب له. كما أوضحت ياسمين لصديقتها أن ميشال لا يناسبها لأنه مسيحي فالعلاقة خطأ من الأول.

جاء ميشال لمكتب رنيم واعتذر منها قائلاً: "لا تحاسبي على زلاتي الماضية، فلقد كنت مغفلاً حين تركتك ترحلين. لكنني استوعبت ذلك متأخراً.. لم أكن أعلم أنك ستتركين كل ذلك الفراغ في حياتي"²، وحاول ميشال الاعتذار لكن رنيم رأت أن هذا الاعتذار جاء متأخراً، فالجرح الذي سببه لها كان أقوى من كل الاعتذارات فقام بدعوتها للعشاء "لا أطلب منك العودة معي إلى مرسيليا. فقط اقبلي الدعوة و دعينا نتحدّث. أعدك أنني لن أتجاوز حدودي والسهرة ستعجبك بالتأكيد. وبذلك يكون كلانا راجحاً. أعطني فقط هذه الفرصة لأثبت لك أنني تغيّرت"³. لكن رنيم بعدما فعله بها لم تعد تكثر للمأدبات فهي من تغيّرت وذلك جلي في قولها: "أنا أيضاً تغيّرت يا ميشال، لم أعد رنيم التي تعرفها"⁴.

حضر ميشال مفاجأة لرنيم في مطعم فاخر و ردّد لها أغنية تحبها بعنوان 'أحبها حتى الموت' خاضعت في تلك السهرة حروباً بداخلها حتى تظهر له قوتها بعد الفراق، راقبته وهو يتقدّم باتجاهها على مهل وتابع القول: "كنت سأترك المفاجأة الأخيرة من أجل السهرة، لكنني لم أعد أستطيع الانتظار. قال ذلك وهو يخرج علبة حمراء مخملية من جيبه. شدّ أصابعه عليها وهو يقول:

¹ - حولة حمدي، غربة الياسمين، ص 145-146.

² - المصدر نفسه، ص 252.

³ - المصدر نفسه، ص 253.

⁴ - المصدر نفسه، ص 253.

الفصل الثاني : _____ الإسلاموفوبيا والآخر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

... كنت خائفاً من الارتباط لأنني لم أكن واثقاً أنني قد وجدت الشخص المناسب بعد.. أردت إعطاء نفسي فرصة إضافية... لكنني كنت مغفلاً لأن تلك الحسنة كانت أمامي طوال الوقت، بل قطعة منها تسكن جسدي"¹.

نلاحظ أن الندم كان واضح على ميشال ، بل أكثر من ذلك فقد طلب الزواج منها في المقطع السردي من الرواية: "... كان لكلماته النابعة من الصميم تأثيرها. التمعت عيناها وهي تسمعه يقول: رنيم.. هل تتزوجيني؟"² فاحتجت رنيم قائلة: "لكنني مسلمة... لكن المرأة المسلمة لا يمكنها أن تتزوج من رجل غير مسلم"³، وواصلت كلامها قائلة: "لا يمكنني أن أتزوجك وأنت على غير الإسلام. لم أطلب منك التحول إلى الإسلام لأنني أعلم أنك لن تفعل.. لكنها ملاحظة أبديتها بشأن طلبك"⁴ فأجابها على الفور وبتهور: "ماذا لو فعلتها؟... ماذا لو أسلمت؟ هل تتزوجيني حينها؟"⁵

فنجد أن الرواية سجلت أول علاقة حب فاشلة بين ميشال و رنيم، لأنه لم يراع حبها منذ البداية، ولم يكثر لمشاعرها و تضحيتها وكان ندمه متأخراً.

ب- علاقة هيثم بلورا: لم تكن رنيم وحدها من عاش تجربة التعلق بالآخر بل تعددت العلاقات في الرواية لتثبت الرواية "امكانية الاندماج من عدمه في المجتمع الجديد على الرغم من شعور عض الأبطال بالتمييز العنصري القائم على أساس اللون والدين والمعتقد"⁶

تعرفت (ياسمين) على (لورا) ودعتها لشقتها و لاحظت هي و (رنيم) مدى حب لورا لهيثم في المقطع الآتي : "... في حين تأفقت رنيم في داخلها. هل ستكون كل أسئلتها عن ذلك

¹ - نخولة حمدي، غربة الياسمين ، ص 275.

² - المصدر نفسه، ص 275.

³ - المصدر نفسه، ص 276.

⁴ - المصدر نفسه، ص 276.

⁵ - المصدر نفسه، ص 276.

⁶ - نور خالص إرفانشاه : دراسة الأدب المقارن عن الشخصيتين الرئيسيتين في رواية 'غربة الياسمين' لخولة حمدي، مولانا مالك ابراهيم، 2020، ص 28.

الفصل الثاني : _____ الإسلاموفوبيا والآخر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

المتعجرف؟ في تلك اللحظة جاءت ياسمين...¹، واصلت رنيم الكلام " هل يمكنها أن تقول جملة واحدة لا تذكر فيها هيثم هذا؟ ... إنها مهتمة بهيثم فقط لا غير"²

كما أن أخلاق هيثم جعلته يعلم لورا الصلاة و الوضوء و كل أمور الدين الإسلامي " لقد علمني هيثم الصلاة"³ وكل هذا لأنها مغرمة بهيثم و شخصيته لهذا قررت الإقتراب من عالمه حين أعلنت إسلامها حتى يلتفت لها ويبادلها نفس الشعور.

وتجسد الروائية علاقات مختلفة ومتعددة كعلاقة (كمال عبد القادر) مع فتيات في عمر حفيداته كما يفعل الغرب، وهذا نتيجة تأثيره بالآخر الأجنبي، فكل العلاقات مع الآخر كانت فاشلة و ذلك راجع لعدم الاتساق و الانسجام والتفاهم، فلكل منهم مبادئه و هويته وهذا ما جعل الأمر صعب بين الطرفين في إقامة علاقات حب. فهل سيكون الأمر مخالفاً عندما يتعلق الأمر بالصدقة و المصاحبة؟

3-2- علاقة المصاحبة و الصدقة:

إن العلاقة بين الأنا والآخر قد تورت إذ أصبحت تجمع بينهما علاقة الصدقة و المصاحبة التي كانت في إطار من الأساس و المبادئ يحكمها الاحترام وقبول الآخر كما هو دون أدنى تغيير فالصدقة "هي تفاعل روحي بامتياز و حوار عقلائي، متزن تدخل الإنسان في علاقة متينة ووثيقة مع من يصبح مرآتك الحقيقية، فالصديق هو من يدلك على ذاتك يبحث فيك عن جمالك الحقيقي و يصبوب لك هفواتك و أخطاءك، لأنه يريد ما هو خير لك"⁴ إن الصدقة علاقة نبيلة تربط بين شخصين أو أكثر، تجعل الفرد أكثر انتماء للمجتمعات و أكثر تسامحاً وتضامناً مع أصحابه.

¹ - خولة حمدي، غربة الياسمين ، ص 216.

² - المصدر نفسه، ص 216، 217.

³ - خولة حمدي: رواية في قلبي أنثى عبرية ، ص 217.

⁴ - عيسى الشماس : الصدقة عند الشباب الجامعي، مجلة جامعة دمشق، سوريا، مج 28، ع 2، 2012، ص 16.

الفصل الثاني : _____ الإسلاموفوبيا والآخر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

إذ جسدت خولة حمدي في روايتها 'غربة الياسمين' هذه الصداقة مع عدة شخصيات ومواقف، فتقول الروائية أن "الصداقة بين غريبين تبدأ أحياناً بكلمة، بلفتة حانية، بلحظة صراحة نادرة. في اللحظة التي تليها يصبح الغريب صديقاً"¹ يمكن سرد هذه الصداقات كالآتي:

أ- صداقة ياسمين مع جولي و مارينا و لورا: فبعد حصول ياسمين على العمل جاءت كل من جولي و مارينا للترحيب بها وهذا ما يوضحه المقطع السردى الآتي "... فزملاؤك ليسوا سيئين. جاءت جولي و مارينا للترحيب بها اليوم. كانتا في غاية اللطف والكرم. شربتا معا القهوة بعد الظهر حين انتهت من إجراءاتها الكثيرة واستلمت مكتبها"² فجولي ومارينا كانتا غاية في اللطف حيث كانتا تقدمان المساعدة لياسمين و تشرحان لها كل ما يتعلق بالعمل وطريقة التعامل مع الزبائن، فجولي كانت تود دائما مصاحبتهما واصطحبها معها إلى المطعم و الدخول في جو الشركة "... لم ترافقهم إلا لأنها وعدت جولي بعد أن ساعدتها بشأن ملفها. كان من الغباء أن تعتقد أنّها قادرة على فكّ أحجيات باتريك بمفردها... اتصلت بجولي التي هبّت إليها على الفور وهي تستمع إلى نبرتها الباكية عبر أسلاك الهاتف، واستنشرت قوات مساندة من المكاتب الأخرى. تعاون الجميع على استكمال الخطوات المطلوبة ثم هنؤوا أنفسهم على اجتياز التحدي كفريق. كانوا لطفاء ومرحين ومستعدين لتقديم المساعدة، وقد أحبّت ياسمين ذلك للحظات.. قبل أن تتيقن من ورطتها الجديدة بمصاحبته"³

جولي كانت تود أن تجعل ياسمين تشعر كأنها في منزلها وبين أحبائها، فالصداقة "هي علاقة اجتماعية وثيقة و دائمة تقوم على تماثل الاتجاهات بصفة خاصة وتحمل دلالات بالغة الأهمية تمس توفيق الفرد واستقرار الجماعة"⁴ وهذا ما حاولت جولي فعله مع ياسمين "حاولت جولي أن تجعلها

¹ - خولة حمدي، غربة الياسمين ، ص 147.

² - المصدر نفسه ، ص 155.

³ - المصدر نفسه ، ص 184-185.

⁴ - عيسى الشماس : الصداقة عند الشباب الجامعي، ص 18.

الفصل الثاني : _____ الإسلاموفوبيا والآخر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

تشارك في الحديث بتوجيه بعض الأسئلة إليها من حين إلى آخر¹ فحولي قد قدمت يد المساعدة لياسمين في فك شفرات الملفات التي قدمها لها باتريك وسهلة عليها عملية التواصل مع شركائها في العمل.

قد تعرفت ياسمين أيضاً على (لورا) في المطعم عندما كانت برفقة (هيثم) وهذا ما يوضحه المقطع الآتي:

"-أعرّفك بلورا.

توقفت عيناها عند وجهها المليح وابتسامتها الرقيقة. كانت شقراء حقيقيةً بجمال فرنسيّ هادئ... هادئ.

-لورا زميلة لي في العمل.. حديثه عهد بالإسلام.. وتحتاج إلى من يعلمها الدين.
بدت علامات الدهشة على ياسمين وهي تمدّ كفها لتصافحها. كانت قد توقّعت كل شيء، إلا هذا.

-آه! حقاً؟! كيف؟!

-أنا سعيدة جداً من أجلك. حمداً لله على هدايتك إلى الإسلام.

شكرتها لورا في حياء ثم قالت:

-أنا لا أعرف الكثير عن الإسلام، ففي محيطي ليس هناك مسلمون....

هفت لورا والابتسامة العذبة لا تفارق شفيتها:

-آه هذا رائع! ستكونين أول أخت لي في الإسلام!² فقد بدت السعادة والبهجة على وجه

ياسمين عندما قابلت لورا الفتاة الفرنسية، ولم تتردد للحظة في تقديم المساعدة لها وتعليهما ما لا تعرف عن الدين الإسلامي، فالله عز وجل خلقنا شعوب وقبائل لتتعارف لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا

¹ - خولة حمدي، غربة الياسمين، ص 185.

² - المصدر نفسه، ص 186-187، 188.

الفصل الثاني : _____ الإسلاموفوبيا والآخر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) { سورة الحجرات، الآية 13..

فحب ياسمين لدينها وفهمها العميق له جعلها لا تعارض على التعريف بدينها الإسلام للآخر
و نشره.

أ- صداقة رنيم و جورج: لقد كانت الصداقة بين رنيم وجورج أول مرة في إطار العمل، عندما
وثقت رنيم بقدراته وسلمته قضيتها التي كانت صعبة في الوقت الذي طلب منها (فيفيان) أن
تتخلى عنها، وطلب من ميشال اقناعها على تلبية طلبه بعد دعوتها للعشاء، لأنه كان شديد القرب
منها، إذ تقول الروائية: "... كيف حالها الآن؟

همس جورج بصوت خفيف مخاطباً الممرضة حين أهدت تثبيت الأنبوب المزود بالسائل
المغذي إلى وريد رنيم. أجابته بنفس الصوت الخافت مراعاة لسبات المريضة القسري:
-حالتها مستقرّة الآن. لكنها بحاجة إلى الكثير من الراحة.

هزّ جورج رأسه موافقاً ثم زفر في ضيق. كان اتصاله بها ذلك اليوم محض صدفة، ولم يكن
بإمكانه أن يتخيل لوهلة واحدة أن يجدها على تلك الحالة. صوتها عبر الهاتف كان ينطق بالضعف
و الألم، والكلمات القليلة التي تجاوزت شفيتها قبل أن ينقطع الصوت مع تدحرج هاتفها إلى
الأرض كانت كافية ليصل قلقه إلى مستوياته القصوى... حملها بين ذراعيه وهروول في اتجاه
المخرج... كانت تشدّ بقبضتها بقوة على الملائة البيضاء وتعصر عينيها بألم واضح. هتف في قلق
وارتباك:

-رنيم..هل تسمعينني؟

خفت حركتها رويداً رويداً وإحساسها بالدّفء يرتفع... ابتسمت وهي تطالع منقذها. إنها
أفضل حالاً الآن.

اقترب منها جورج وقال في ارتياح:

—حمداً لله على سلامتكم¹.

جورج لم يترك رنيم لوحدها وهي تصارع الموت وقدم لها يد المساعدة، فلم يتركها للحظة منذ دخولها المستشفى وقدم لها كل ما تحتاجه إذ يقول: "مررت بشقتك هذا الصباح. حين قال الطبيب أنك ستبقيين هنا لبعض الوقت فكرت بأنك ستحتاجين بعض أشياءك"². فصداقة رنيم وجورج قد تجاوزت حدود العمل فقط و أصبحتا صديقتين مقربتين وكان مستعداً لتقديم أي مساعدة لها.

فالأخر لا يريد أن يكون منعزل عن معرفة الأنا "فالأخر يدخل عنصراً مقوماً في صميم وجود الأنا وماهيتها، والأنا بذلك لا تكون إلا من خلال توقفها على الآخر واستقلالها عنه في وقت واحد"³ فالآخر كان شديد التأثير بالأنا المسلم.

أ— **صداقة عمر و كارولين**: كانت صداقتهم واضحة للناس جميعاً، رغم رفض عمر هذه الصداقة في البداية، إلا أن كارولين أصرت على إقامة هذه العلاقة وهذا ما توضحه المقاطع السردية الآتية: "وحدها كارولين كانت تصرّ على اقتحام عالمه"⁴ كارولين كانت تريد أن تكون علاقة صداقة مع عمر مهما طال الأمر "رفع عمر رأسه ليلمح كارولين التي سبقتها رائحة عطرها... انسحب خارجاً من الباب الخلفي، قبل أن تلمحه كارولين، كالفارّ من الطاعون. إلى متى ستظل تهرب منها يا عمر؟ سيأتي وقت المواجهة عاجلاً أم آجلاً"⁵ فعمر كان شديد الحرص على علاقاته إذ فضل الوحدة و العزلة على صداقة مع المجتمع الغربي اليهودي، إلا أن كارولين كانت عنيدة ومصممة على أن تصاحب عمر، إذ طلبت منه الذهاب معها للسنيما و عمر رفض، فهو ملتزم بتعاليم دينه الإسلامي و لا يريد الاختلاط بالمجتمع اليهودي فهو يرفض العلاقة والصداقة التي تربط بين الرجل

¹ - خولة حمدي، غربة الياسمين، ص 315، 316.

² - المصدر نفسه، ص 317.

³ - محمود رجب: المرأة والفلسفة، حوليات كلية الآداب، الحولية الثانية، د. ط، جامعة الكويت، 1981، ص 7.

⁴ - خولة حمدي، غربة الياسمين، ص 50.

⁵ - المصدر نفسه، ص 53.

الفصل الثاني : _____ الإسلاموفوبيا والآخر الأجنبي في رواية (غربة الياسمين)

والمرأة. وهذا ما يوضحه المقطع السردي "التفت في دعر حين وصله صوتها. ليس مجدداً. ليس كارولين. كانت ترسم ابتسامة واسعة على شفيتها وتحمل كوبين من الورق المقوى يحملان شعار ماركة معروفة لصنع القهوة..."

-متى كانت آخر مرة ذهبت فيها إلى السينما؟

تعلقت نظراته بكوب القهوة أمامه. السنيما؟ لم يضع قدميه يوماً في إحدى قاعاتها... لم يكن قد فكّر في ردّ بعد حين أردفت كارولين في حماس:

-هل تودّ أن ترافقني الليلة؟ هناك شريط خيال علميّ يعرض في قاعة قريبة.. سيعجبك، أنا متأكدة!... لا شك أنّك ترهق نفسك بالعمل و لا تحظى بالكثير من فرص التسلية!
كانت تلحّ في حيوية معدية، لكنّ عمر ظلّ منيعاً أمام محاولاتها الجاهدة لاختراق حصانته. أخيراً، تكلم في اقتضاب:

-لا أحبّ السنيما"¹. فعمر كان شديد الحرص على علاقاته وتصرفاته، فمن صفات المسلم أن يكون حريصاً على كل تصرفاته واحترام الغير.

فالأنا المسلمة كانت دائماً شديدة الصراع مع الآخر اليهودي، وهذا الصراع من أجل إثبات وجودها و الحفاظ على حريتها، وأن الآخر مهما كانت العلاقة به صديق أو حبيب لا يمكنه العيش من غير وجود الأنا، وكذلك الأنا لا يمكنه العيش دون الآخر.

¹ - نخولة حمدي، غربة الياسمين، ص 81، 82.

خلاصة الفصل الثاني:

وفي ختام الفصل نخلص إلى أن الروائية قد كشفت عن المعاناة التي تعاني منها الأنا المسلمة في ظل عيشها مع الآخر اليهودي، في ظل اغترابها عن بلادها وتميئها، إذ أصبح الحجاب في البلاد الغربية رمزاً للتخلف، واضطهاد الأنثى وهو مجرد قيد لحريتها، وأن الحل المثالي للعيش بحرية هو التخلص منه، والعمل والاختلاط مع الآخرين، وصورت لنا الروائية في رواية 'غربة الياسمين' علاقتي الحب والصدقة التي كانت تربط بين الأنا والآخر.

ملائمة

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة العلمية فإننا نخلص إلى جملة من النتائج النهائية، والتي نعرضها

كالتالي:

- إن ثنائية الأنا المسلمة والآخر اليهودي نتجت بسبب الصراع القائم بين الشعوب المختلفة منذ القدم، بسبب الاختلاف الديني والعقائدي والاجتماعي وكذلك السياسي.

- إن وجود الأنا المسلمة سيتوجب وجود الآخر اليهودي، وإن العلاقة بينهما هي علاقة تلازمية مترابطة لا يمكن لأحدهم الاستغناء عن الطرف الآخر.

- إن الأنا المسلمة رغم كل ما تعرضت له من ظلم واضطهاد إلا أنها استطاعت أن تثبت وجودها بين أفراد المجتمع اليهودي.

- حاولت الروائية خولة حمدي في روايتها "في قلبي أنثى عبرية" أن تجسد الصورة الإيجابية لتأثير الأنا المسلمة على الآخر اليهودي وتغيير أفكاره ومعتقداته، والتي تمثلت في (ربما) الفتاة المسلمة التي استطاعت أن تغير نظرة الآخر للأنا وجعله يعتنق الدين الإسلامي.

- أما في رواية "غربة الياسمين" كشفت الروائية عن المعاناة التي عاشتها الأنا المسلمة من اغتراب وعنصرية وهميش في بلاد الآخر اليهودي.

- سلطة الروائية أيضا الضوء على قضية الإرهاب وكيف يعاني منها المجتمع العربي، وكذلك قضية الأنا المثقفة ومدى تفتحها على حضارة الآخر.

- صورة كذلك الروائية خولة حمدي في روايتها "غربة الياسمين" العلاقات القائمة بين الأنا المسلمة والآخر اليهودي التي تمثلت في الصداقة والحب والاحترام بين الطرفين.

- إذ لم تنسى تسليط الضوء على قضية الحجاب الذي عدى رمزاً للتخلف، والاضطهاد وسلباً لحرية الأنثى.

فلا يمكن فهم الآخر دون فهم الأنا، فالأنا هو الذي يرسم حدود الآخر، ويضع له حدوده، ويشكل له شرعيته. إذ يؤثر ويتأثر بالآخر ويكتسب منه عاداته وتقاليده نتيجة الاحتكاك بين العالمين المسلم واليهودي.

قائمة المصادر والمراجع

I. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

II. المصادر:

1. خولة حمدي : في قلبي أنثى عبرية، دار كيان للنشر والتوزيع، 22 ش الشهيد الحي بجوار مترو ضواحي الجيزة، الهرم، 2013.

2. خولة حمدي : غربة الياسمين، د. ط، دار كيان للنشر والتوزيع-22 ش الشهيد الحي بجوار مترو ضواحي الجيزة- الهرم، مصر، 2014.

III. المراجع:

3. أحمد ديدات: الحل الإسلامي للمشكلة العنصرية ، ترجمة: محمد مختار، دون طبعة، المختار الاسلامي للطبع والتوزيع، القاهرة، مصر، دون تاريخ.

4. إسماعيل الغزال : الإرهاب والقانون الدولي، د. ط، بيروت، لبنان، 1990.

5. أنطوان نحصه وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط1، دار المشرق بيروت، لبنان، مادة (آخر. آخر)، 2000.

6. أنور الجندي: منهج الإسلام في بناء العقيدة والشخصية، د. ط، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، 1980.

7. برهان زريق : مخاطر الغزو الثقافي، ط1، دار النمير، دمشق، سوريا، 2017.

8. الجابري محمد عابد : مسألة الهوية في العروبة والإسلام والغرب، ط4، مركز دراسات الوحدة العربية.

9. جميل حمداوي: من الأدب التونسي الحديث والمعاصر، ط1، دار الألوكة للنشر، 2013م.

10. جودت السعد: أوهم التاريخ اليهودي، ط1، دار الأهلية، لا. م، دون تاريخ.

11. حسن الصفار : الحوار والانفتاح على الآخر، ط1، دار الهادي، بيروت، لبنان، 2014.

12. حسين عبيد الشمري: صورة الآخر في الخطاب القرآني، دراسة نقدية جمالية، ط1، دار الكتب الحلمية، بيروت، لبنان، 2008.

13. حمد ديدات : الحل الإسلامي للمشكلة العنصرية، ترجمة: محمد مختار، مكتبة ديدات، المختار الإسلامي، دون طبعة، دون تاريخ.
14. رقية العلواني و آخرون: مفهوم الآخر في اليهودية و المسيحية، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2008.
15. سعد البازعي: مقارنة الآخر مقارنات أدبية، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1999.
16. السيد عمر : الأنا والآخر من منظور قرآني، ط1، دار الفكر ، دمشق، 2008.
17. الطاهر لبيب : الآخر في الثقافة العربية، ضمن كتاب: صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999.
18. الطاهر لبيب : صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، لبنان، اغسطس 1999.
19. عالية زروقي، صورة الآخر في الرواية الجزائرية، من سنة 1950 إلى سنة 2010، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2017.
20. عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية، دون طبعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
21. علي الجوهري: المناظرة الأولى: أول لقاء يجمع بين النصارى والمسلمين، دون طبعة، مكتبة التراث الإسلامي، دون تاريخ.
22. عيسى فوزي : صورة الآخر في الشعر العربي، طبعة خاصة، مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين، الكويت، 2011
23. غوستاف لويون : الآراء و المتعقدات، تر: عادل زعينر، ط1، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2014.
24. فاضل أحمد القعود: جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي (دراسة نصية)، ط1، دار غباء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1433-2012.

25. كاترين جولوك: نظرة الغرب إلى الحجاب، ترجمة: شكري مجاهد، ط2، مكتبة العبيكان، أبوظبي، الإمارات العربية، 2011.
26. ماجدة الغرباوي: اخفاقات الوعي الديني، حوار في تداعيات النكوص الحضاري، ط1، مؤسسة المثقف العربي، بيروت، لبنان، 2016.
27. ماجدة حمود : إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، ط1043 ، دار عالم المعرفة، بيروت، لبنان، 2013.
28. ماجدولين شرف الدين : الفتنة والآخر، ط1، مطابع دار العربية للعلوم، بيروت، 2012.
29. مازن مرسل محمد: حفريات في الجسد المقموع، مقارنة سوسولوجية ثقافية، ط1، دار الامان، الرباط، 2015.
30. مجموعة باحثين: بوستى توفيف، بوفنور اسماعيل، حميداني سليم. الاسلاموفوبيا في أوروبا - الخطا والممارسة-، ط1، المركز العربيالديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا.
31. مجموعة من الباحثين : صورة الإسلام في الغرب-بين التشويه وواجب التصحيح، دون طبعة، فاس، 2007.
32. مجموعة من الباحثين: تاريخ الأدب التونسي، ط1، الجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، 1993.
33. محمد الحجاز : صورة الآخر في شعر المتنبي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2009.
34. محمد العابد الجابري: الإسلام والغرب والآخر، الكتاب الأول، سلسلة فكر ونقد الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009.

35. محمد أنقار: بناء الصورة في الرواية الاستعمارية (صورة المغرب في الرواية الإسبانية)، ط1، مكتبة الادريسي للنشر والتوزيع، يناير 1994.

36. محمد جلاء ادريس : الأنا والآخر في الأدب الانثوي، مكتبة الآداب، القاهرة، 2003.

37. محمد سعيد فرج: تغير صورة اليهود في الأدب العربي "دراسة من منظور علم الاجتماع"، ط1، دار العين الاسكندرية، مصر، 2011.

38. محمد سيد أحمد متولي: صورة اليهودي في الرواية العربية المعاصرة. رواية سردية مغايرة، العدد23- رسالة المشرف.

39. محمد صابر عبيد: جماليات التشكيل الروائي، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012.

40. محمد عاشور: التفرقة العنصرية، د. ط، مكتبة المهتمدين، القاهرة، مصر، 1986.

41. محمد محفوظ : إشكالية الأنا والآخر في الفكر العربي- الموسوعة الإسلامية، 2017/04/13.

42. نجم عبد الله كاظم: نحن و الآخر في الرواية العربية المعاصرة، ط1، دار الفارس، بيروت، لبنان، 2013.

43. هارليمس وهولبورن: سوسولوجيا الثقافة والهوية، تر: حاتم حميد محسن، ط1، دار كيوان ، دمشق، سوريا، 2010.

IV. المقالات في المجلات والدوريات:

44. مجلة عود الند، العدد 108، 2010.

45. مجلة دمشق، سوريا، مج 27، 2011.

46. مجلة الاتحاد، الاربعاء 14 ديسمبر 2016، 20:27.

47. الموسوعة التونسية المفتوحة: الجمع التونسي للعلوم والآداب، آخر تعديل كان يوم

6مارس 2017 الساعة 12:53 www.mawsouaa.tn

48. مجلة الأدب والعلوم الانسانية، العدد الثامن، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، جوان 2007.

49. مجلة الفيصل، عدد37، السنة 8حزيران، يوليو 1984م.

50. مجلة جامعة دمشق، سوريا، مج 28، العدد 2، 2012.

51. مجلة آفاق علمية، المركز الجامعي بتسمسيلت، الجزائر، جوان 2016.

52. مجلة الذاكرة، الجزائر، العدد9، جوان 2017.

53. مانع بن حماد الجهني: موسوعة المسيرة في الأديان والأحزاب المعاصرة، ط4، ج1، دار الندوة العالمية، 1420.

54. محمد أحمد النابلسي: جنون الإسلاموفوبيا، عدد38-2015، الكتاب العربي للعلوم النفسية، اصدارات محكمة في علوم النفس .

55. محمود المسعدي: الأعمال الكاملة (المجلد1)، جمع وتقديم وبيبلوغرافيا محمود طرشونة، دار الجنوب والنشر، مطبعة معامل الطباعة فيتزي، ديسمبر 2002م، وزارة الثقافة والشباب والترفيه.

56. محمد راتب الخلاق: نحن و الآخر، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1997.

57.

V. القواميس والمعاجم:

58. جميل صليب: المعجم الفلسفي، ط1، الجزء2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2013.

59. الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، ترجمة: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1984.

60. أبو القاسم الحسن بن محمد الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تج: سيد كيلاي، دون طبعة، دار المعرفة، لبنان، ج1.

61. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جوهر القاموس، تج: مصطفى حجازي، دون طبعة، ج9، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1973/1393.

62. ابن منظور، لسان العرب، ط1، المجلد 11، الجزء الأول، دار صادر، بيروت، لبنان، 1990.

VI. المذكرات والأطروحات والرسائل:

63. بثينة عيادي، فطوم شيخ : الأنا والآخر عبر اللغة السردية في رواية 'جراح الروح والجسد'، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة حمّة لخنصر، الوادي، الجزائر، 2018-2019.

64. بن علي الحاج ، تمظهرات الآخر في الرواية العربية، رسالة لنيل شهادة ماجستير، أشرف عبد القادر شرشال، جامعة وهران.

65. مي عودة أحمد ياسمين : الآخر في الشعر الجاهلي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، فلسطين، 2005-2006.

VII. المواقع الإلكترونية:

66. أنور الموسى: في قلبي أنثى عبرية، دراسة في ثنائية الأنا والآخر في الرواية، www.ishkaliat.fikria.com، 2017/01/20 تاريخ الاطلاع 2021/02/21، 16:14.

67. موقع "مجتمع أرابيك"، لقاء مع الدكتورة خولة حمدي/ كاتبة ومؤلفة

VIII. المحاضرات:

68. علي الجوهري، المناظرة الأولى. أول لقاء يجمع بين النصارى والمسلمين، دون طبعة، مكتبة التراث الإسلامي.

69. لونيس على: آليات مكافحة الإرهاب الدولي بين فاعلية القانون الدولي وواقع الممارسات الدولية الانفرادية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2012.
70. محمود رجب: المرأة والفلسفة، حوليات كلية الآداب، الحولية الثانية، دون طبعة، جامعة الكويت، 1981.
71. نور خالص إرفانشاه : دراسة الأدب المقارن عن الشخصيين الرئيسيين في رواية 'غربة الياسمين' لخولة حمدي، مولانا مالك ابراهيم، 2020.
72. يهودا شنهان: محاضرة علم الاجتماع و الانثروبولوجيا في جامعة تل أبيب، معهد فان لير القدس، قسم التربية لحقوق الانسان، د ت.

فأرست الموضوعات

الصفحة	العنوان
	شكر و عرفان
	اهداء
أ-ب	مقدمة
	مدخل: مفاهيم نظرية
05	1- مفهوم الآخر : لغة
05	اصطلاحاً
07	2- اليهودية
09	3- الإسلاموفوبيا
09	4- الرواية التونسية
11	5- علاقة الأنا بالآخر
14	6- صورة الآخر
	الفصل الأول: تمثلات الآخر في رواية "في قلبي أنثى عبرية"
16	1- - تمهيد
18	2- صورة الآخر اليهودي في الرواية
18	2-1- صورة الآخر اليهودي العنصري
20	1-1- صورة اليهودي المتسامح
20	1-2-1- التسامح الظاهري
24	1-2-2- العداة الباطني
27	1-2-3- الآخر العنيف
28	2- نظرة الأنا المسلم للآخر اليهودي
35	3- نظرة الآخر اليهودي للأنا المسلمة

42	4- العلاقة بين الأنا والآخر
	الفصل الثاني: الإسلاموفوبيا والآخر الأجنبي في رواية غربة الياسمين
50	تمهيد
51	1- عنصرية الآخر الأجنبي
51	1-1- الإرهاب
55	1-2- الحجاب رمز للقهر والتخلف
58	2- ثقافة الآخر
59	2-1- الأعراف
65	2-2- الإيديولوجيات
70	3- علاقة الأنا بالآخر
71	3-1- علاقة المودة والحب
71	أ- علاقة رنيم بميشال روسو
74	ب- علاقة هيثم بلورا
75	3-2- علاقة المصاحبة
76	أ- صداقة ياسمين مع جولي و مارينا و لورا
78	ب- صداقة رنيم و جورج
79	ت- صداقة عمر و كارولين
83	خاتمة
86	قائمة المصادر والمراجع
94	الفهرس

الملخص:

تمحور بحثنا الموسوم بـ: الآخر اليهودي وإسلاموفوبيا في روايتي في قلبي «أنثى عبرية» و «غربة الياسمين» للروائية خولة حمدي، حول طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر في المجتمع العربي بمختلف أديانه (الإسلام، المسيحية، اليهودية)، إذ عرضنا مفاهيم نظرية متعلقة بالبحث ثم تطرقنا إلى الفصل الأول وفيه نوهنا إلى مظهرات الآخر اليهودي ف يالمتن الروائي، أما في الفصل الثاني انتقلنا إلى تمثلات الآخر الأجنبي ونظرته الدونية للإسلام، وختاماً قدمنا عصارة بحثنا في مجموعة من النتائج التي أفرزتها الدراسة

الكلمات المفتاحية:

الآخر، الإرهاب، الحجاب، الإسلاموفوبيا، المسلم، اليهودي، الصراع

Summary

Our research called "The Jewish Other and Islamophobia in both novels: in my heart a jewish girl and Jasmin's alienation of the novelist Khaoula Hamdi" is centred on the nature of the relationship between the Ego and the Other in the arab society in different religions (Islam, Judaism, Christianity)

We put forward theoretical concepts of research and then we went into chapter one, and we looked at the Other's Jewish manifestations in the narrative text. In the other hand, we studied in the second chapter the other stranger and his inferiority conception of Islam, and finally we introduced our research into a set of findings from the study.

Opening words: the Other, the terrorism, the hidjeb, the islemophobia, the muslim, the jewish, the conflict